



الشيخ
محمد عبد الرحيم
سيرة لن تموت

طارق عبد الرحمن محمد

الشيخ

محمود عبدالحليم

سيرة لن تموت

طارق عبد الكريم محمود

٩٥٦,٤٠٩٢٤

ط ا ر طارق عبدالكريم محمود

الشيخ محمود عبدالحليم سيرة لن تموت / تأليف

طارق عبدالكريم محمود

البيرو - مطبعة الحدث ٢٠٢٦

صفحة ٢٦٩

١- محمود عبد الحليم - ١٨٣٥ - ١٩١٩

٢- الشيخ محمود عبد الحليم سيرة لن تموت

٣- رجال دين - فلسطين

تم التصنيف بمعرفة مكتبة بلدية نابلس العامة

الطبعة الأولى

٢٠٢٦

صف ومونتاج: أدهم حنون

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة الحدث / البيرو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

- إلى بلدتي عنبta أهلاً وأرضاً وتاريخاً وتراثاً.
- إلى بنات وأبناء عشيرة الفقهاء الذين يرون في جدهم الشيخ محمود رمزاً من رموز عنبta المضيئـة.
- إلى كل من يعرف حق الآباء على الأبناء.
- إلى كل من يعرف حق الأجداد على الأحفاد.

طارق عبد الكريم محمود

عنبta

٢٠٢٦/١/١

المقدمة

صحوتُ على هذه الدنيا وأنا أسمع من كلّ من
تعايشتُ معهم أنّ جدي لأبي (الشيخ محمود
عبدالحليم) كان شاعراً، وكان شيخاً أزهرياً، وتقلّدَ
مناصب في التعليم والإماماة والخطابة والافتاء
والقضاء. فكيف أقتنع بهذا وأنا لا أعرف بيتاً واحداً من
قصائده؟ ولا أعرف إلّا القليل القليل عن حياته؟

ظلّ هذا الأمر يشغلني ويلاحقني إلى أن وصلتُ إلى
المرحلة الثانوية، فبدأتُ أبحث عن سيرة حياته وعن
قصائده، وأدُون كل ما أحصل عليه من معلومات،
وطالت رحلة البحث، ومع الأيام صار بين يديّ مجموعة
من المعلومات والقصائد التي تستحق أن تنشر،
فشددتُ الهمة وعقدتُ العزم لإصدارها في كتاب لعلها
تلقي بعض الضوء على شخصيته الإنسانية والدينية
والاجتماعية والوظيفية، وهنا أتساءل: هل هناك في

الدنيا أناس ملزمون بالوفاء للآباء أكثر من الأبناء؟ وإن
لم يكن الأبناء فليكن الأحفاد.

وحيثُ أنا الحفيد لأقول: ما أجمل أن أكتب عن
جدي لوالدي ووالد عي الشاعر الفلسطيني عبد
الرحيم محمود! وما أوفَ حظي إذا نجحتُ في الكتابة
عنه! فقد باعد الزمن بين عمرينا، فجدي من مواليد
١٨٣٥ ميلادي، وأنا من مواليد ١٩٤٢ ميلادي، وقد
توفي سنة ١٩١٩، ويكون بذلك قد مضى على وفاته مئة
وسبعة أعوام عند إصدار هذا الكتاب.

فهل أستطيع أمام هذه المعطيات أن أجmu ما ضاع
في ضباب السنين وزقائق الأيام؟

اعترف بأنني أتيت متأخراً، ولكن أن أتي متأخراً خيراً
من أن لا آتي، وقلت لنفسي عسى أن ينطبق علي قول
الشاعر أبي العلاء المعربي:

وإنْ كنْتَ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَا تِبْ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ إِلَّا وَإِلَّا
إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ سِيْجَدُ فِيهِ الْمُتْسَائِلُونَ أَجْوَبَةً كَثِيرَةً
عَنْ تَسْأَلَاتِهِمْ، وَأَخْصُّ بِالذِّكْرِ هُؤُلَاءِ الْبَاحِثِينَ فِي حَيَاةِ
الشَّاعِرِ عَبْدِ الرَّحِيمِ مُحَمَّدِ الدِّينِ يَسْعَوْنَ لِمَعْرِفَةِ سَرِّ
شَاعِرِيَّتِهِ، وَهُلْ الْوَرَاثَةُ لَعْبَتْ دُورًا فِي هَذِهِ الشَّاعِرِيَّةِ؟

وَمَا يُقَالُ عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ يُقَالُ عَنِ الْعَشَرَاتِ
مِنِ الشَّعَرَاءِ وَالْمَشَايخِ الَّذِينَ عَاشُوا إِبَانَ الْحُكْمِ التُّرْكِيِّ،
فَهُمْ جَمِيعًا لَمْ يُؤْرَخُ لَهُمْ، وَلَمْ يُشَارْ لَهُمْ، فَقَدْ أَغْفَلْتُمُ
كُتُبَ الْتَّارِيخِ.

إِنِّي بِهَذَا الْعَمَلِ قَبْلَتْ لِنفْسِي أَنْ أَدْخُلَ فِي أَعْمَاقِ
مَنْجَمٍ خَاوِي مَهْمَلٍ مَهْجُورٍ، فَخَرَجْتُ مِنْهُ مَحْمَلاً بِكُنْزٍ
ثَمِينَةً، كَانَتْ تِلْكَ الْكُنْزَاتُ تَعِيشُ فِي سَبَاتٍ عَمِيقٍ،
فَانْتَشَلْتُهَا وَأَنْقَذْتُهَا مِنَ الضَّيَاعِ وَالنَّسِيَانِ، وَنَقْلَتُهَا مِنْ
بَيْئَةٍ مَنْسِيَّةٍ إِلَى بَيْئَةٍ حَاضِرَةٍ نَظِيفَةٍ نَقِيَّةٍ تَشَعُّ بِالنُّورِ،
وَأَوْدَعْتُهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ.

إنني أشعر بالسعادة عندما أكون واحداً من الذين يحترمون آباءهم وأجدادهم، ويرتبطون بجذورهم، ويقدّرون تاريخهم الإنساني والوطني والإجتماعي الذي صنعه أولئك المنسيون الذين لم تصل إليهم أصوات الشهرة.

إنّ جدي الشيخ محمود لم يمرّ على مسرح الحياة مروراً عابراً، بل مرّ وهو يعترّ بما قدّم، وترك بصمات جميلة في كل ميادين الحياة. ورغم تقادم السنين، ورغم الصعوبات والمعيقات، آليتُ على نفسي، وقررتُ بلا تراجع أن أجمع ما تيسّر لي من سيرة حياته تقديرًا لروحه الإنسانية ووفاء لذكراه، في زمن عزّ فيه الوفاء، واخترت عنواناً لكتابي:

(الشيخ محمود عبدالحليم سيرة لن تموت).

لقد مات جدي ومات علمه معه، لأنّه لم يسجل في قرطاس، ولم تحفظه الكتب، ولأنّ أجياله الذين

عاصروه ماتوا دون أن نستفيد منهم، وهكذا نسي
الناس الشيخ محمود، وكم من رجال عظاماء قدّموا
وخدموا فأهملنا ذكرهم، وطمسنا أثراهم، ونسينا
أسماءهم، وما أدركنا أن نشر سيرهم هو بمثابة إضاعة
مشاعل للأجيال لتعلم منهم وتقدي بهم.

لو وجد الشيخ محمود أحداً قام بتدوين سيرة
حياته أثناء وجوده لذاع اسمه وانتشر في كل مكان،
ولكن مع الأسف هو واحد من مئات الرجال الأفذاذ
الذين يستحقون أن يُخلّدوا، ولكن لم يجدوا من
يخلدهم، ويكتفي أن الله يعرفهم ويرحمهم ويجزئهم على
أعمالهم، ويخلدهم في أعلى عليين.

وأرى في نهاية مقدمتي أن أؤكد على القناعات

الآتية:

أولاً: إنني وأنا حامل قلم، يجب أن أكتب عن سيرة
جدي الشيخ محمود.

ثانياً: إنني وأنا صاحب رسالة، عليّ أن أنصف هذا
الشيخ الجليل.

ثالثاً: إنني وأنا حفيده، علي مسؤولية الحفاظ على
سيرة حياته.

رابعاً: إنني وأنا حامل مشعل، عليّ أن أسير حاملاً
مشعلي لأصل به إلى كل حفيد من أحفاده، لأعرفه
بجدّه الذي كان في يوم من الأيام علمًا من أعلام منطقة
بني صعب، في فترة زمنية كان فيها الظلام فارداً جناحيه
على جميع أرجاء العالم العربي.

وأخيراً، أخاطب جدي فأقول: أستمطر عليك
شأبيب الرحمة والمغفرة أيها الجد الشيخ والمعلم

والشاعر واللغوي والمفتى والقاضي، وإلى لقاء في جنةٍ
رضوانٍ نجلسُ معاً على أريكة الفردوس، ونسقى من
رحيق مختوم.

طارق عبد الكريـم مـحمود

عنـا

۲۰۲۶ / ۱ / ۱

نسب الشيخ محمود

هو الشيخ محمود بن الشيخ عبد الحليم (الثاني) بن الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الحليم (الأول) بن الشيخ محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ عبد الإله.

ولد في عنبتا في محافظة طولكرم بفلسطين عام ١٨٣٥ ميلادية، والده عبد الحليم شيخ من مشايخ عصره، درس العلوم الشرعية في صالحية دمشق. ومن الملاحظ من تسلسل النسب أن الشيخ محمود ينتهي لعائلة عرفت بالشيخة، وهذا يدل على حبهما للدين والشعر والأدب، لذلك كثرت فيها العمائم، وهذا ينسجم تماما مع تسمية العائلة الصغيرة بالعبد الحليم، والعشيرة الكبيرة بعشيرة الفقهاء.

والفقهاء مجموعة من رجال الدين الإسلامي خرجت من بلاد الحجاز، وانتشرت في بعض مناطق

فلسطين وبعض الدول العربية، كانت مهمتها تبصير الناس بأمور الدين الإسلامي، فكان لهم إحترامٌ في كل مكان، واستقر كل منهم في المكان الذي أراد، وتزوج وأنجب، وكوّن مع الزمن عشيرةً كبيرةً.

ولذا تتواجد عائلة الفقهاء في عنبتا وكفر اللبد وطولكرم وشويكة ودير شرف وطمون وطوباس وسنجل ونياسير وعين البيضا ويعبد وعرابة وسيريس والعطارة، كما أنها توجد في مدينة تبوك في المملكة العربية السعودية، وكذلك تتواجد في منطقة البلقاء الأردنية، والمعلوم أن قبيلة المهرات في الأردن هي من الفقهاء.

وتقول بعض المصادر^(١) إن الفقهاء أحد أفراد بنى قضاعه إحدى القبائل العربية المعروفة في بلاد

(١) الأنساب العربية مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠١ تأليف

الحجاز، وأصولها من اليمن، ويسكن الفقهاءاليوم في
تهامة الحجاز امتداداً إلى تهامة عسير في المملكة العربية
السعودية..

وتقول كتب التاريخ إن مجموعة من القبائل تنسب
لقضاعة، ومنها قبيلة المهرة التي تننسب إليها قبيلة
المهيرات الأردنية، والمتعارف عليها باسم (إفهها).

عائلة الفقهاء مشتل مشايخ

عند استعراض العدد الكبير من أسماء المشايخ في عنبتا يتبيّن أنّ عائلة الفقهاء هي التي استحوذت على أكبر عدد من المشايخ، ولذا سمحت لنفسي أن أطلق عليها اسم (عائلة الفقهاء – مشتل مشايخ)، وهذا ما ورد في سجلات المحاكم الشرعية العثمانية، في نابلس وطولكرم، ووثقها السيد بهاء محمد نصار في كتابه (عنبta في العصرین المملوکی والعثمانی).

وفيما يلي أسماء مشايخ عائلة الفقهاء:

- الشيخ عبد الحليم (الأول)
- الشيخ عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ جابر بن عبد الله بن عبد الحليم

- الشيخ أحمد بن الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ عبد القادر بن الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ عبد الحليم (الثاني) بن عبد الله بن عبد الحليم
- الشيخ محمود بن عبد الحليم مولده سنة ١٨٣٥ ميلادي
- الشيخ عارف بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٧٠ ميلادي
- الشيخ حمزة بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٨٧ ميلادي
- الشيخ توفيق بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٩٢ ميلادي
- الشيخ رفيق بن محمود عبد الحليم مولده ١٨٩٨ ميلادي

دراسة الشيخ محمود

نشأ الشيخ محمود ذكياً فطناً، تعلم في الكتاب على يد والده الشيخ عبد الحليم (الثاني) الذي كان معلماً في كتاب قرية عنبتا بعد أن عاد من صالحية دمشق، إضافة إلى تعليم والده له تعليماً خاصاً في البيت.

كان الشيخ محمود يحفظ نصف القرآن الكريم وهو ابن الثانية عشرة من عمره، ويتقن القراءة والكتابة والإملاء إتقاناً جيداً، وهذا شجع والده عام ١٨٤٩ على إرساله إلى جامع البيك في مدينة نابلس من أجل أن يواصل تعليمه الديني، فدرس ثلاثة أعوام، وكان متتفوقاً حسب رأي معلميه المشايخ، ولم يتوقف الشيخ عبد الحليم عند هذا الحد، فقد أرسل ابنه إلى الجامع الأزهر عام ١٨٥٣ علىأمل أن يصبح ابنه عالماً من علماء الإسلام، وشيخاً من شيوخه الأفاضل. فقد تلقى علمه في الأزهر على يد جماعة من كبار العلماء،

وأثناء دراسته في الجامع الأزهر أكمل حفظ النصف الآخر من القرآن الكريم، ونظم القصائد الكثيرة. وقد لعبت رهافة حسه وذاكرته اللاقطة في استيعاب كل ما هو أمامه من علوم لغوية وأدبية ودينية وتاريخية.

عاد من الأزهر عام ١٨٥٩ وعمره أربعة وعشرون عاماً بعد أن أمضى هناك ستة أعوام، يحمل شهادة العالمية (بكسر اللام)، وتعني العالمية أن من يحمل هذه الشهادة هو عالم بأمور الدين الإسلامي.

الكتاتيب في عنبتا

لم يكن في زمن الدولة التركية مدارس، لأن الدوله التركيه كانت تعتبر التعليم ليس من مسؤوليتها، وإنما من مسؤولية الأهالي، ولذلك لم تقم بإنشائها، ولم تعط التعليم أي اهتمام، ومن هنا تحركت الغيرة على الأجيال، ونشطت المسؤولية، وانبثق الوعي عند الناس المتنورين في القرى والمدن، فصار في معظم القرى والمدن مراكز تعليمية أطلق عليها اسم الكتاتيب، وقامت بعض المدارس البسيطة في المدن، وكان الهدف تخرج جيل من الأولاد قادر على القراءة والكتابة، وعارف لبعض الأمور الدينية، وبذلك يكون الجيل قد تحرر من الأمية.

والكتاتيب مفردها كتاب، والكتاب هو مكان يضم مجموعة من الأولاد، يأتون إليه ليتعلموا على يد شيخ متخصص، وكان التعليم يقتصر على القراءة والكتابة

والإملاء والخط وحفظ القرآن الكريم والتعاليم الدينية، وشيء من سير الأنبياء والصالحين، والحساب الذي كان يُطلق عليه اسم الهندي، لأن الأرقام التي نستعملها هي في الأصل أرقام هندية، بينما التي نستعملها بالإنجليزية هي الأرقام العربية التي ابتكرها العالم العربي الخوارزمي.

وقد حرصت عنبتا على إيجاد الكتاتيب لتعليم أبنائهم منذ أكثر من أربعين سنة، وكان لكتاتيب حضور قوي في المجتمع العنباوي بعد سنة ١٨٥٠ م، فقد كثر الأولاد الراغبون في التعلم من مختلف الأعمار، وكثير المشايخ القادرون على التعليم.

ومن أشهر معلمي الكتاتيب في عنبتا ما بين عام (١٨٥٠-١٩١٠) الشيخ محمود عبد الحليم، والشيخ إسماعيل عبدالله، والشيخ محمد أسعد عورتاني، والشيخ إبراهيم السعدي، والشيخ عارف محمود عبد

الحليم، والشيخ محمد جاد الله، والشيخ قاسم
كنعان، والشيخ يعقوب عرفات القبح، والشيخ
عبدالقادر عبد الحليم.

وثقافة جميع هؤلاء المشايخ ثقافة دينية،
اكتسبوها من تعلمهم في مسجد البیك في مدينة
نابلس، هذا المسجد الذي أهلهم ليكونوا أئمة وخطباء
في المساجد، ول يقوموا بالتعليم في الكتاتيب، عدا
الشيخ محمود عبد الحليم الذي كان من خريجي الأزهر.

تعددت مراكز الكتاتيب في عنبتا، فكانت في
المسجد القديم، والمزار، والمضافة في حارة دار ملحم،
والبيت شاويش (غرفة ملاصفه لدار عبد الرحمن
بركات هدمت فيما بعد)، وغرفة مكان دار جابر
العموري القديمة (قرب الكازية).

وكما نلاحظ فإن الأماكن التي اتخذت كمراكز
للتعليم هي أماكن عامة، فلا يدعو الأمر لدفع أجرا

للمكان، وبنفس الوقت لم يكن أماكن للإيجار بسبب ضيق المسakens في عنبتا، وكان المعلم يجلس أمام الأولاد على مقعد أعلى من مستوى جلسة الأولاد الأرضية، ومعه عصا طولها مترين، ويجلس الأولاد أمامه على حصير مفروش على الأرض. ويعتمد التعليم على الشرح الشفوي والتسميع الشفوي، والقراءة والكتابه وحسن الخط، وإن أخطأ الولد، أو لم يحفظ، أو شاغب، فهو المعلم عليه بالعصا الطويله عقاباً له، أو يحبسه في الطابون المجاور.

أما الأجرة التي كان يتتقاضاها معلم الكتاتيب من الأولاد، فهي بعض البارات أو المجيديات (عملة تركية) أو شيء من القمح أو الخبز أو البيض أو الجبن أو الخضار حسب موسمها، وهذا دليل على فقر الناس في ذلك الوقت، وقلة المال في أيديهم.

وقد ذكر جدي لأمي إبراهيم جابر رحمة الله (من مواليد عام ١٨٩٠) أنه تعلم في مدرسة المسجد على يد الشيخ محمود عبد الحليم والشيخ إسماعيل عبدالله. كذلك ذكر صهري والد زوجتي المرحوم الشيخ عبد الله حنون (من مواليد ١٨٩٥) أنه تعلم في مدرسة المسجد على يد المرحوم الشيخ عارف محمود عبد الحليم، ويد المرحوم الشيخ محمد أسعد عورتاني. أما عمي المرحوم الشيخ رفيق (من مواليد ١٨٩٨) فقد تعلم في المسجد القديم على يد شقيقه المرحوم عارف محمود عبد الحليم ويد الشيخ محمد أسعد عورتاني ويد الشيخ قاسم كنعان.

وقد جاء في الأرشيف العثماني في اسطنبول وثيقة تبين أن عنبتا تأسست فيها مدرسة ابتدائية حكومية سنة ١٨٨٤ ميلادي والمعلم هو الشيخ إسماعيل

عبدالله ومه معلمان آخران، وبلغ عدد تلاميذها
تسعين تلميذا.

وكذلك ورد في كتاب (عنبتا في العصر المملوكي
والعثماني) لمؤلفه بهاء نصار: رفدت مدرسة عنبta
معونات حكومية، ففي اليوم الخامس عشر من أيلول
عام ١٨٨٦ ميلادي، أورد مراسل جريدة لسان الحال
البيروتية أن (فخري بك نامي) متصرف لواء البلقاء قد
عرج في طريقة إلى نابلس على قرية عنبta، وقد استراح
فيها قليلاً، وتناول طعام الغداء، ثم أمر بصرف عشر
ليرات لمدرسة القرية.

ولكن هذه المدرسة ليست مدرسة بمفهومها
العصري، وإنما هي كتاب راقٍ ومعترف به، ومكان هذه
المدرسة هو المسجد القديم، والتعليم فيها من الصف
الأول إلى الصف الرابع، ثم انتقلت المدرسة من المسجد

القديم إلى المضافة^(١)، وفي سنة ١٩٢١ انتقلت من المضافة إلى أول مدرسة ابتدائية حكومية بمفهومها العصري تقام في عنبتا، والتي عُرفت بصالونها الكبير وخمس غرف حوله.

(١) ذكر لي والدي رحمه الله (من مواليد ١٩١٠) أنه درس الصف الأول في المسجد القديم، وكان معلمه شقيقه الأكبر الشيخ عارف محمود عبد الحليم، ثم درس الصف الثاني والثالث في المضافة، وكان معلمه شقيقه الشيخ عارف والشيخ محمد أسعد عورتاني، أما الصف الرابع فقد درسه في المدرسة الحكومية التي هي أول مدرسة تقام في عنبتا عام ١٩٢١، ثم واصل تعليمه في طولكرم.

الشيخ محمود معلماً

تخرج الشيخ محمود في الجامع الأزهر عام ١٨٥٩ وعمره أربعة وعشرون عاماً حاصلاً على شهادة العالمية (بكسر اللام) وتعني العالمية أن حامل هذه الشهادة هو عالم بالدين الإسلامي، ولم يجد الشيخ وقتها وظيفة تليق به شأنه شأن الكثيرين من المشايخ الذين تخرجوا في الأزهر، وذلك لأن الحكومة التركية لا تتيح للعرب أن يتسلموا وظائف حكومية، فالوظائف الحكومية مقصورة على الأتراك، فعمل معلماً في كتاب عنبرة الكائن في المسجد القديم مدة سبعة عشر عاماً.

وكان معلم الكتاب في ذلك الوقت هو البطل في المجتمع الفلسطيني، لأنه حسب رأي الناس هو صاحب العلم والمعرفة في كل أمور الدنيا، لذلك كان الشيخ محمود ذا منزلة عالية، ويشار له بالبنان، لأن الناس حوله كلام أميون.

كان الشيخ محمود الشاب معلماً مميزاً، أحبه الأولاء وأقبلوا على التعلم برضى ورغبة وحماس، فأنشأ جيلاً يتقن القراءة والكتابة والحساب، ويحفظ عدداً من سور القرآن الكريم، ويلم بمعلومات كثيرة عن سير الرسل والصحابة، ويتقن أداء جميع الصلوات، ويحفظ الأناشيد.

تحمس الأهالي من أجل تعليم أولادهم على يد الشيخ محمود القادم من الأزهر الشريف، فهبوا لتسجيل أبنائهم للالتحاق بدروس الشيخ محمود التي يعطيها في المسجد القديم. كان الأولاد يأتون إلى حلقة الدرس قبل موعدها لكي يحتلوا مكاناً متقدماً من الشيخ، فكانوا يجلسون على الحصirs بكل انتباه واهتمام، وهذه وصية الآباء والأمهات لهم أن يذهبوا مبكرين كي يكونوا في أماكن متقدمة، وأن يصغوا إصغاءً تاماً لما يقوله معلمهم.

وُعِرِفَ عَنِ الشِّيخِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ عَصَا كَمَا
حَمَلَهَا مَعْلُومُ الْكَتَاتِيبِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بَلْ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى
الْكَلْمَةِ الْحَلْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ النَّاعِمَةِ، وَالْجَمِيلِ الْجَمِيلِ
أَنَّ الشِّيخَ مُحَمَّدَ الْحَافِظَ لِقَصِيدَةِ الْأَصْمَعِيِّ الْمَشْهُورَةِ
(صَوْتُ صَفِيرِ الْبَلْبَلِ) قَامَ بِتَحْفِيظِهَا لِطَلَابِهِ،
فَحَفَظُوهَا غَيْبًاً، وَصَارُوا يَنْشَدُونَهَا وَيَرْدَدُونَهَا أَمَامَ الْأَهْلِ
وَفِي الْحَارَاتِ وَالْطَّرِقَاتِ، وَفِي الْمَجَالِسِ وَالسَّهْرَاتِ،
فَيَعْجَبُ الْأَهْلَى بِأَوْلَادِهِمُ الْحَافِظِينَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي
تَتَمَيَّزُ بِصَعُوبَةِ الْفَاظِهَا وَغَرَابَةِ كَلْمَاتِهَا، وَتَعْقِيدِ تِرَاكِيمِهَا
الَّتِي تَجْعَلُ حَفْظَهَا صَعِيبًاً، وَالْمَسْتَمِعُ أَوْ الْقَارئُ لَهَا يَعْجَزُ
عَنْ فَهْمِ مَعَانِيهَا، لَكِنَّهُ يَطْرُبُ لِسَمَاعِهَا لِمَا فِيهَا مِنْ نُعْمَةٍ
جَمِيلَةٍ فِي أَبْيَاتِهَا. كَمَا أَنَّ هُؤُلَاءِ الطَّلَابَ أَثَارُوا التَّفَاتَ
النَّاسِ الْمَارِينَ فِي الْحَارَاتِ وَهُمْ يَرْدَدُونَهَا فَيَعْجَبُونَ
وَيَتَسَاءَلُونَ، فَيَكُونُ الْجَوابُ: إِنَّهُمْ تَلَامِيذُ الشِّيخِ
مُحَمَّدٍ، فَتَزَدَّادُ ثَقَةُ الْأَهْلَى وَيَسَّارُونَ فِي إِرْسَالِ ابْنَائِهِمْ
إِلَى كِتَابِ الشِّيخِ مُحَمَّدٍ.

صوت صفير البليل

صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ

هَيَّجَ قَلْبِي الثَّمِيلِ

مَعًا وَالْزَهْرُ المَاءُ

مَعَ زَهْرِ لَحْظِ الْمُقْلِ

وَأَنْتَ يَا سَيِّدَ لِي

وَسَيِّدِي وَمَوْلَى لِي

فَكَمْ فَكَمْ تَيَّمَّنِي

غُرَبِيلٌ عَقِيقَلُ

قَطْفَتُهُ مِنْ وَجْنَةٍ

الْخَجَلِ وَرَدَ لَثِمٍ مِنْ

فَقَالَ لَا لَا لَا لَا

وَقَدْ غَدَا مُهَرَوِّلٌ

وَالخُودُ طَرِيًّا مَالَتْ

مِنْ فَعِلٍ هَذَا الرَّجُلِ

فَوَلَوْلَتْ وَلَوْلَةً

وَلَيْ وَلَيْ يَا وَيْلَ لَيْ

فَقُلْتُ تُولُولِي لَا

وَبَيْنِي اللُّؤْلُؤِ لَيْ

قَالَتْ كَذَا حِينَ لَهُ

إِنْهَضْ وَجْدٌ بِالنُّقْلِ

وَفِتْيَةٍ

سَقَوْنَى

قَهْوَةً

كَالْعَسْلَ

لِي

شَمَمْتُهَا

بِأَنَّفِي

أَزْكِي

الْقَرَنْفُلِ

فِي وَسْطِ بُسْتَانِ حُلِيٍّ

بِالْزَهْرِ

وَالسُّرُورُ

لِي

وَالْعُودُ دَنَدَنَ دَنَانِ لِي

وَالْطَبْلُ طَبَطَبَ طَبَ

لِي

طَبَ طَبِطَبَ طَبَ طَبَطَبَ

طَبَ طَبَطَبَ طَبَطَبَ لِي

وَالسَّقْفُ سَقْ سَقْ لِي
وَالرَّقْصُ قَدْ طَابَ لِي
شَوَى شَوَى وَشَاهِشُ
عَلَى وَرَقٍ سُفْرَجِلٍ
وَغَرَدَ الْقَمْرِيَ يَصِيحُ
مَلَلٌ مَلَلٌ فِي رَاكِبًا
وَلَوْ تَرَانِي أَهْزَلٌ
عَلَى حِمَارٍ يَمْشِي
ثَلَاثَةٌ عَلَى كَمَشِيَّةٍ
الْعَرَنْجِل

وَالنَّاسِ تَرْجُمَ جَمَلِي
فِي السُّوقِ بِالْقُلُّلِ
وَالْكُلُّ كَعِكَعَ كَعِكَعَ
خَلْفِي وَمِنْ حُوَيْلَيِّ
لَكِنْ هَارِبًا مَشَيْتُ
مِنْ خَشِيشَةِ الْعَقَنَقَلِ
إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ
مُعْظِمٍ مُبَجِّلٍ
يَأْمُرُ لِي بِخَلْعَةٍ
حَمَراءَ كَالَّدَمِ دَمَلِي

أَجْرُ فِيهَا مَاشِيًّا
مُبَغِّدًا لِلذِّيَّل
أَنَا الْأَدِيبُ الْأَلْمَعِي
مِنْ حَيِّ أَرْضِ الْمُوَصِّلِ
نَظَمْتُ قِطْعًا زُخْرَفَتِ
يَعْجَزُ عَنْهَا الْأَدْبُ لِي
أَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ
صَفِيرٌ الْبُلْبُلِ

وبعد ان تسلّم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم
عام ١٨٧٦ بدأ بتطبيق الدستور، وهو القانون
الأساسي للدولة، ويشتمل على إصلاحات كثيرة، وعلى
رأسمها حرية التعليم، فاستبشر الناس خيراً، وبدأت
المدارس تنتشر في المدن والقرى، ولكن ليس بمفهومها

العصري، وقد أطلق على كل مدرسة اسم المكتب،
وعمّم هذا الاسم فيسائر أنحاء الوطن العربي.

وفي ذلك يقول أمر الشعراء أحمد شوقي واصفاً
أيام المدرسة^(١):

الا حبذا صحبة المكتب
فأحببْ ب أيامه أحبِ
ويَا حبذا صبية يمرحون
عنان الحياة عليهم صبي
عصافير عند تهجي الدروس
مهار عرابيد في الملعب
لهم جرس مطرب في السراح
وليس إذا جد بالمطرب

(١) ديوان احمد شوقي الجزء الثاني صفحة ١٤٧

وقال الشاعر عبدالرحيم محمود ابن العشرين
عاماًً عند زيارته لمدرسة عنبتا محييياً المعلمين ومدير
المدرسه راتب الشامي^(١):

حُييتُمْ يا أهل هذا المكتِّبِ
السائرين على السراط الطَّيِّبِ
الفاتحين قلوبكم بمحبةِ
فكانكم للنشء أشباه الأَبِ
قد قال شوقي فيكم يا إخوتي
إن المعلم شأنه شأن النبي
يا راتباً قاد المسيرة ناشطاً
أنت الجدير بشغل هذا المنصب
دم للمدارس رائداً ومعلماً
في الصُّف في الساحات أو في الملعب

(١) عبد الرحيم محمود شاهد ومشهود صفحة ٤٣ تأليف طارق عبد الكريم

وفي عنبتا افتتح أول مكتب في العهد العثماني عام ١٨٨٤ ميلادي، ومقره المسجد القديم، والمعلم المسؤول الشيخ إسماعيل عبدالله، وفي نفس الوقت افتتح مكتب في قرية الطيرة قرب طولكرم، وعمل فيه الشيخ محمود معلماً لعام واحد فقط، ثم وقع عليه الاختيار بتزكية من زملائه وأصدقائه أبناء مدينة نابلس الذين تخرجوا معه في الأزهر الشريف ليكون معلماً في المدرسة الدينية الكائنة في جامع البيك في مدينة نابلس، وعمل فيها معلماً لمدة ثلاثة سنوات من عام ١٨٨٨-١٨٨٥)، ومن هنا جاءت علاقته القوية بمشايخ المدينة.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ العلامة الشاعر أحمد البسطامي (١٩٤٥-١٨٧٢) كان أحد تلاميذه

النجباء^(١)، حيث واصل تعليمه في دمشق، ونال سمعة دينية وادبية واجتماعية في مدينة نابلس، وأصبح فيما بعد من أهم جلساً للشيخ محمود لدى زياراته لمدينة نابلس، وصادف أن يكون من أبناء عنبتا في نفس المدرسة وفي صف الشيخ البسطامي كل من الشيخ عارف ابن الشيخ محمود والشيخ محمد أسعد عورتاني. وبعد أن خدم ثلاثة أعوام في نابلس عاد معلماً في مكتب عنبta إلى نهاية عام ١٨٩٧، ولم يتعارض هذا مع كونه إماماً وخطيباً ومأذوناً.

(١) عدة مقابلات مع الشيخ محمد البسطامي ابن الشيخ احمد البسطامي صيف ١٩٨٤ ، وقد أطلعني على وثائق تبين علاقة الشيخ محمود بوالده الشيخ أحمد، وعلاقته هو بالشاعر عبد الرحيم محمود. انظر عبد الرحيم محمود شاهد ومشهود/ طارق عبدالكريم محمود/ صفحه ١٦٠

الشيخ محمود واللغة العربية

عرف عن الشيخ محمود أنه لغوي قدير، كان يعيش لغته العربية، وكان يعتبر اللغة العربية- لغة القرآن الكريم- هي لغة الجمال والرقابة والعنودية والفصاحة والبيان والبلاغة والإعجاز. ومع أنه كان لديه معرفة في اللغة التركية إلا أنه كان غيوراً على لغته العربية التي تمثل روح الأمة وحيوها وحضارتها وكبارها. وكان يخشى عليها من الاندثار في زمن عمٌ فيه الجهل، لذلك كان في خطبه على المنابر، وفي حلقات الدراس، وفي الاجتماعات العامة يدعو الناس إلى التمسك بلغتهم العربية، ويشحن طاقاتهم من أجل التكلم والتعامل بها.

كان يؤمن بأن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس، وأن الله أكرّمها باللغة العربية لغة القرآن الكريم، لذلك يجب أن نحافظ على لغتنا لأنها أساس

وجودنا وحكاية تاريخنا ووعاء ثقافتنا، فإذا حافظنا عليها نكون قد حافظنا على القرآن الكريم. وكان يخشى أن تتسلل اللغة التركية إلى ألسنة الناس، فيدعوهם في كل المناسبات إلى أن يحافظوا على ألق اللغة العربية، وكان يؤمن بأن قوة اللغة في الأمة الإسلامية تعني استمرارية هذه الأمة لتأخذ دورها بين الأمم.

إن دراسة الشيخ محمود في الأزهر ساهمت مساهمة كبيرة في ضلوعه باللغة العربية، فقد اكتسب من الأزهر الكثير من شتى العلوم الفقهية واللسانية، مما انعكس على تبحره في اللغة العربية. ويجب أن لا يُنسى أن الشيخ محمود كان حافظاً للقرآن الكريم غيباً، ومن جهةٍ أخرى نسخ القرآن الكريم بخطه الجميل، وظلَّ هذا المصحف بين أيدي الأبناء والأحفاد حتى عام ١٩٥٥، ثم تساقطت أوراقه وتناثرت، وظهر البلي على أوراقه الباقية، فطلبت مني جدتي أن أرسل

ما تبقى منه لעמי الشيخ رفيق، فحملته ومعي بعض
أبناء عمي، وسلمته لعمنا الشيخ رفيق لتدبير أمره.

أما قصائد الشيخ محمود فقد عكست ضلوعه
باللغة العربية، إذ إنها حَقًّا متبينة التراكيب ومراعية
للصرف والنحو، ومزданة بحلة بلاغية جميلة.

الشيخ محمود شاعرًأ

نظم الشيخ محمود الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره، وعرضه على والده الشيخ عبدالحليم، فأعجب الوالد بولده، وشجعه كي يسير في هذا الفن. وعندما عاد من الأزهر الشريف كان حاملاً عدداً من القصائد التي نظمها خلال دراسته هناك، وظلّ موصلاً طريق الشعر، لذا عرفه أصدقاؤه ومعارفه في عنبتا وطولكرم ونابلس والقرى المجاورة بأنه شاعر بلیغ، وعلى مستوى رفيع.

وقد جاء في كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء الجزء الرابع ص ١٤٥ و ١٤٦ مؤلفه إحسان النمر في حديثه عن الشعر في منطقة نابلس في أواخر العهد التركي:

"كان في هذا العهد شعراء بلديةون يقولون شعراً عرفت منهم: الشيخ صالح الخفشن من مردا، والشيخ صالح

الخريوش من بيتا، ثم تقدم التعليم فظهر شعراء
يراعون الصناعة اللغوية، وينظمون للتاريخ منهم:
الشيخ نمر الداري من نابلس، ومحمد بك صلاح من
نابلس، والشيخ محمود العبد الحليم من عنبا،
والشيخ احمد البسطامي من نابلس، والسيد محمد
صالح الصمادي من نابلس، والشيخ عمرو عرفات من
نابلس، والشيخ محمد تفاحة من نابلس، والشيخ
رفعت تفاحة من نابلس".

وكان بين الشيخ محمود وهؤلاء الشعراء
صداقات، جمعتهم الجلسات الأدبية، وتبادلوا سماع
القصائد، وطرحوها للنقد والتحليل. وقد انحصرت
اغراض الشعر في هذه الفترة بالمدح، والهجاء، والرثاء،
والتهاني والتعازي، وتأريخ المواليد، وتأريخ الأحداث على
حساب الجمل.

والمتأمل في قصائد الشيخ محمود الواردہ في هذا الكتاب، سيجدها منسجمة مع هذه الأغراض شأنها شأن قصائد جميع الشعراء في تلك المرحلة، وفي نفس الوقت من يقرأ قصائده على قلتها يجد فيها جمالاً وإبداعاً، وقوّةً، وقدرة لغوية فائقة، وموهبة شعرية راقية، وبلافة لافتة، وهذا ما يقودنا إلى القول: إن من نظم هذه القصائد الجميلة لا بد أن نظم غيرها ولكنها ضاعت مع الأيام.

الشيخ محمود وحساب الجمل

حساب الجمل طريقة حسابية تستخدم فيها الحروف الأيجدية، فيعطي كل حرف قيمة رقمية، وتستخدم الأرقام لتحديد كلمات أو جمل تحمل معنى تاريخي، فالتأريخ الشعري هو أن يختتم الشاعر قصيده ببيت من الشعر أو شطر واحد، إذا حسبت حروفه بحسب الجمل عرفت السنة التي وقع فيها الحدث، وهي السنة التي يريد الشاعر أن يؤرخها.

وعلى هذا فإن بناء جملة أو بيت من الشعر على حساب الجمل ليس سهلاً، بل هو بالغ الصعوبة، ولا ينجح فيه إلا كل ذي مقدرة حسابية فيها البراعة والذكاء والفتنة. لقد نجح الشيخ محمود أيمماً نجاح في تاريخ ما يريد على حساب الجمل، وظهر هذا في المناسبات الآتية:

١. ما نقشَ على الباب الداخلي للمسجد القديم في عنبتا

عند توسيعته عام ١٩٠٧ م:

عَنْبَتَا هِيَا قَدْ قَامَ لِلَّهِ مَسْجِدٌ
بِأَنْوَارِهِ حَفَّاً غَيَاهِيْهَا تُجْلِي
فَلَا زَالَ مَعْمُورًا بِذِكْرِ إِلَهِنَا
مُصَانًا وَآيَاتُ الْقُرْآنِ بِهِ تُتَلَى
هَنِئًا لِمَنْ يَأْتِيهِ فِي غَسْقِ الدُّجَى
يُصَلِّي بِهِ نَفَلًا وَيَرْجُو رِضَى الْمَوْلَى
وَلَمَّا انتَشَأَ أَنْشَا مُؤَرِّخُهُ (وِيَا
اللَّهِ مَا أَغْلَى وَلَلَّهِ مَا أَحْلَى)

سنة ١٣٢٥

٢. ما نقشَ على ضريح الحاج مصطفى بن محمد القبح،

المتوفى عام ١٩١٤ م^(١):

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني من تأليف بهاء نصار

أُوْقَدَ تَضَمَّنَ حِسْمٌ مَنْ	وَ تَلَمَّعَتْ أَنْوَارُهُ ..	رَمْسُ تَرَوْنَقَ رَسْمُهُ ..
مَا مَاتَ صَاحِبُ سِيرَةٍ	وَ الْمُكْرِمَاتِ شِعَارُهُ ..	شَهْمُ تَقَضَّى عُمْرُهُ ..
وَهُوَ الشَّيْدُ فَخَارُهُ	رَبُّ الْمَكَارِمِ مُصْطَفَى ..	فِي النَّاسِ زَادَ وَقَارُهُ ..
(جَنَّةُ حُلْيٍ دَارُهُ)	تِرْحَالُهُ أَرْخَ (لَهُ ..	يَرْنُو إِلَيْهَا تِذْكَارُهُ ..

سنة ١٣٣٢ م

٣. ما نُقِشَ على ضريح الشيخ محمد بن الحاج نصار
إسماعيل، المتوفى عام ١٩١٦ م:

رَمْسُ	تَرَوْنَقَ	رَسْمُهُ
وَعَلَتْهُ أَنْوَارُ الْقَبُولِ		
فَدْ حَلَّ فِيهِ مُحَمَّدُ النَّصَارِ		
ذو الْكَفِ	الْبَذَولِ	
إِلَهُهُ	دَعَاهُ	لَمَّا
لِنَعِيمِ دَارٍ لَا يَزُولُ		
(لِعَامِ وَفَاتِهِ)		أَرْخُ
أَبْشِرَاهُ حَازَ لِكُلِّ سُولِ(١)		

سنة ١٣٣٤ م

٤ - وأتاك مؤرخه يهدى
لكم التاريخ أيا فطنا
(بصفي الدين لقد أشدى
طير الأدواح له و رنا)

من أبياته في قصيده لصديقه الشيخ عبد الغني
ياسين البدوي يهنئه فيها بموالده صفي الدين، ويبين
البيت السنة التي ولد فيها صفي الدين أبو النجا، وهي
سنة ١٢٨٨ هجرية الموقعة ١٨٧٠ ميلادية.

طريقة حساب الجمل

الحرف	قيمةه العددية
ك	٢٠
ل	٣٠
م	٤٠
ن	٥٠
س	٦٠
ع	٧٠
ف	٨٠
ص	٩٠

الحرف	قيمةه العددية
أ	١
ب	٢
ج	٣
د	٤
هـ	٥
و	٦
ز	٧
حـ	٨
طـ	٩
يـ	١٠

قيمهه العددية	الحرف	
١٠٠	ق	
٢٠٠	ر	
٣٠٠	ش	
٤٠٠	ت	
٥٠٠	ث	
٦٠٠	خ	
٧٠٠	ذ	
٨٠٠	ض	
٩٠٠	ظ	
١٠٠٠	غ	

شخصية الشيخ محمود^(١)

رجل متوسط الطول مهيب الطلعة، كامل الأنفاس،
ذو شيبة مشرقة، ولباس المشيخة منحه هيبةً ووقاراً.
رجل ذو ذكاء نادر وعلم زاخر، طلق اللسان، فصيح
العبارة، لديه ملكة في نظم الشعر. بارع ضليع في علم
النحو، لذلك عرف عنه أنه خطيب لا يلحن في خطبه
وكان يُلقي خطب الجمعة بلا ورق، وقد أجمع عارفوه
على أن الشيخ محمود كان يلقي خطبة الجمعة في
المسجد ارتجالا دون أن يتلعثم أو يتأنى، وكان كلامه
يثير النشاط ويبعث الأمل وليس كلاماً يثير النعاس
ويبعث الملل، وكان يبتعد عن الموضوعات المكررة
والملولة، وبأسلوب جاذبٍ ومشوقٍ.

(١) شارك في هذا الوصف كل من ابنه الشيخ رفيق، والشيخ الأزهري عبدالله حنون.

كان له دور قيادي وتنويري واجتماعي، وكان له مأثر في حل النزاعات بين الناس، وكان المعتمد في عنبتاب والقرى المجاورة في التوسط في فض الخلافات وإنهاء الخصومات العائلية، فكان يتوجه لحل خلاف على رأس مجموعة من المشايخ الأجلاء، والرجال الفهماء الذين يمشون وراءه، ويتحركون بإشارة من يده، فكم ألف بين زوجين مختلفين وأصلح بين شريكين وجارين.

كان في جلساته مشرق الوجه باسم الثغر، يتحرك لسانه ما بين ترحيب بالجالسين أو كلام نافع ممزوج بالنكتة، فمجالسته متعه، وحضرته مريحة، لأنه كان مطبوعاً على التندر والفكاهة وخفة الروح. وكان جريئاً في قول الكلمة الحق أمام المسؤولين والباشوات والوجهاء الكبار، وأهل العقد والحل، ولا تأخذه في الله لومة لائم. ولم يكن متزلفاً لصاحب نفوذ أو متملقاً لمسؤول، كان كثير الأصدقاء ووافر المعارف وبخاصة

من المشايخ الرفاق الذين تجل أقدارهم وترتفع
منازلهم، وتقبل أيديهم، ويطلب دعاؤهم، وكلهم مشايخ
صالحون يحفظون القرآن الكريم، ويفتون الناس
ويعلمونهم ويرشدونهم.

هذا هو الشيخ محمود الذي كان محاطاً باحترام
كبير ومحبة خالصة من معارفه الذين كانوا يقبلون يده
عند السلام عليه، وإذا قال وقف المشايخ عند قوله،
وإذا أمر لم يخالف أمره أحد.

عاش الشيخ محمود أربعة وثمانين عاماً، بكامل
قواه العقلية، وتوقف ذاكرته الخصبة، واعتبره أهل
زمانه مرجعاً في الفقه، وحجة في علوم اللغة العربية:
معانيها وبلاغتها ونحوها وصرفها.

مع الشيخ سعيد الكرمي

يقول الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي أبو سلمى في كتابه عن والده الشيخ سعيد الكرمي / سيرته العلمية والسياسية: (كان في فلسطين أماكن اشتهرت بإحياء علوم الدين، ومن تلك الأماكن معاهد أو مساجد تدرس فيها علوم الدين والفقه والحديث، وكتاتيب تدرّس فيها مبادئ القراءة والكتابة والخط والقرآن والحساب. وكانت طولكرم وما جاورها من القرى الصغيرة مثل سفارين وعنبتا وكفر اللبد وذنابة وغيرها مراكز للعلم من هذا النوع، وقامت فيها مدارس، وظهر فيها شيوخ وشعراء لم يحفظ التاريخ مع الأسف قدرًا كبيراً من آثارهم الكثيرة.

ومما يذكر أن هؤلاء الشعراء، كانوا يتزاورون ويتقارضون الأشعار، وكانوا يقولونه على البديهة. وكان

لوالدي سعيد الكرمي صلات وثيقة بهؤلاء الشعراء،
إلى هنا ينتهي كلام عبد الكريم الكرمي.

ويقصد أبو سلمى بهذا الكلام كلا من الشيخ
محمود عبد الحليم من عنبتا والشيخ عبد القادر
التفال من ذنابة وعدهاً من شعراء آل ياسين اللبدى من
كفر اللبد، وشعراء من آل السفاريني في سفارين.

وفي موضع آخر يقول عبد الكريم الكرمي في حديثه
عن صديقه الشاعر عبد الرحيم محمود: لقد كانت
علاقة مميزة وصداقة حميمة بين والدي ووالد الشاعر
عبد الرحيم محمود، والحكاية التالية تؤكد كلام
الشاعر أبي سلمى:

كانوا ثلاثة، يشهد لهم القاصي والدانى في منطقة طولكرم وهم: الشيخ سعيد الكرمي من طولكرم، والشيخ عبد القادر التفال من ذنابة، والشيخ محمود عبد الحليم من عنبتا، وكانت بينهم مساجلات أدبية

وفكاهية. وفي يوم من الأيام كانت جلستهم عند الشيخ التفال في ذنابة، فعتب التفال عليهم لما لقلة زيارتهم له، ورجاهم أن يزوراه زيارة قريبة من أجل أن يكرمهما بوليمة فاخرة، غادر الشيخان بعد أن وعدا صاحبهما أن يرسل له فيما بعد عن موعد الزيارة القادمة، وعن الطعام الذي يرغبهانه، وبعد ثلاثة أسابيع أرسل الشيخ محمود بعد الاتفاق مع الشيخ سعيد ورقة فيها موعد الزيارة، ومع الرسالة هذه الأبيات المتضمنة الغازا كامتحان للشيخ التفال، وقد أطلع الشيخ محمود صديقه الكرمي على الرسالة قبل أن يرسلها، فأعجب الكرمي بها وضحك من أعماق قلبه. أما الأبيات فتقول:

نونان نونان لم يكتئما قلمُ
في كل نون من النونين عينانِ
عينان عينان لا عينان أبصرتا
لكل عينٍ من العينين نونانِ

وإن سلكنا سبيل الاقتصاد كفى
لكل ضيفٍ من الضيوف صوصانٍ
وأكلة الحلو لا تنسى وقهوةها
هال يزّنها في وسط فنجانٍ
وعند الموعد المتفق عليه قام الشيخان محمود
والكرمي بزيارة الشيخ التفال، فوجدا الطعام المطلوب
في الرسالة وهو السمك، وبذلك أثبت الشيخ التفال
نجاحه في حل اللغز.

وتفسير اللغز كما يلي: النون تعني السمك وليس
حرف النون، والعين تعني السيد في قومه وليس العين
المبصرة، إذن المطلوب سمكتان لكل سيد من
السيدين، وكل سمكة لها عينان، اما عينان في البيت
الثاني فمعناها لكل سيد من السيدين سمكتان.

مع العلم أن البيت الأول والثاني هما بيتان
مشهوران في عالم الألغاز الأدبية، يرددهما الكثير من

المثقفين، وهم من نظم الشاعر والفيلسوف محي الدين بن عربي الذي عاش في زمن الأندلس، ومات في دمشق عام ١٢٤٠ ميلادية، واستشهاد الشيخ محمود بها يدل على ثقافته الواسعة واطلاعه الوافر، وذاكرته الخصبة، وحسن اختيار ذكي لمناسبة جميلة. أما البيتان الثالث والرابع فهما من نظم الشيخ محمود، وقد أضافهما ليعطيا للرسالة طعمًا ونكهة أدبية ممتعة، ويدلان على قدرته الشاعرية، وروحه التي لا تخلو من المرح والدعاية، والبيتان منسجمان مع البيت الأول والثاني.

وقد عرف عن الشيخ محمود إذا تكلّم أو كتب يكون في أسلوبه ميل للدعاية والطرافة والفكاهة، لذلك كانت جلساته تستهوي كل العارفين له في عنبرنا طولكرم ونابلس وسائر القرى.

مع الشيخ عبد الغني اللبدي

قال الشيخ محمود هذه القصيدة^(١) الجميلة
بمناسبة ولادة ابن صديقه (أبو النجا صفي الدين) بن
عبدالغني بن ياسين بن محمود بن ياسين بن طه بن
أحمد بن طه اللبدي الحنبلي من قرية كفر اللبد
المجاورة لعنبتا والمولود عام ١٢٨٧ هجرية الموافق
١٨٧٠ ميلادية. وقد ورد اسم الشيخ عبد الغني في
عنوان الرحلة اللبدية -في صفحة أخرى من هذا
الكتاب- وهذه القصيدة تدل على عمق الصداقة بين
الشيخ محمود والشيخ عبد الغني.

أسراج الشمس يضيء لنا

أم بدر التم ألم بنا

(١) قدمها لي المحامي محمود الشيخ ياسين أحد أحفاد الشيخ عبد الغني،

وقد عثر عليها بين أوراق جده.

أم ذاك البرق له ومض

يجلـي الـديجور به عـلـنـا

بل ذاك الـولـد لـعـبـدـ غـنـيـ

نـجـلـ فـامـدـحـه بـحـسـنـ ثـنـاـ

جلـبـ الأـفـرـاحـ بـمـوـلـدـهـ

وـأـزـاحـ الـهـمـ وـكـلـ عـنـاـ

فـرـبـوـعـ الدـارـ لـهـ رـقـصـتـ

كم يـحـلـوـ الرـقـصـ بـسـاحـتـنـاـ

وـزـهـورـ الرـوـضـ لـقـدـ نـفـحـتـ

أـرجـ الـأـرـواـحـ يـفـوحـ لـنـاـ

وـطـيـورـ الـأـيـكـ لـقـدـ صـدـحـتـ

وـبـلـابـلـهـاـ بـرـقـيقـ غـنـاـ

يَهُنَا الْأَبْوَانِ بِنْجَلِهِمَا

وَالسُّعْدِ زَهَا وَالْحَظْ دَنَا

لِهِمَا الْبَشَرِيِّ بِعَزِيزِهِمَا

سِيحُوزُ الْفَضْلِ بِدُونِ وَنَا

فِي طَيِّبِ الْفَرْعِ بِطَيِّبِ الْأَصْلِ

أَبُوهُ لِعْمَرْكَ رَمْزُ سَنَا

وَأَتَالَكَ مَؤْرِخَهُ بِهُدَى

لَكُمُ التَّارِيخُ أَيَا فَطَنَا

بَصَفِيُّ الدِّينِ لَقَدْ أَشَدَى

طَيِّرُ الْأَدْوَاحِ لَهُ وَرَنَا

نابلس والشيخ محمود

تعود علاقة الشيخ محمود بمدينة تابلس الى عام ١٨٤٩ ميلادي، عندما أرسله والده الشيخ عبد الحليم (الثاني) إلى جامع البيك من أجل أن يواصل تعليمه الديني، وأمضى في جامع البيك ثلاثة أعوام دراسية، أظهر فيها تفوقاً حسب شهادة معلميه المشايخ، ثم غادر إلى الجامع الأزهر في مصر، فدرس ستة أعوام، عاد بعدها حاصلاً على الشهادة العالمية، وعمل معلماً في كتاب عنبتا ما يقرب من سبعة عشر عاماً، ثم عمل معلماً في قرية الطيرة لمدة عام واحد فقط وذلك عام ١٨٨٤ ميلادي، حيث بدأت الحكومة التركية بإنشاء المدارس، وبعدها وقع الاختيار عليه ليكون معلماً في المدرسة الدينية التابعة لجامع البيك في مدينة نابلس، فعمل فيها من عام ١٨٨٤-١٨٨٨ ميلادي، وكان من أحب تلاميذه إلى قلبه الطالب المتفوق أحمد

البسطامي^(١) (١٨٧٢ - ١٩٤٥)، الذي واصل تعليمه في دمشق، ونال سمعةً دينيةً وأدبيةً واجتماعيةً في مدينة نابلس.

أحب الشيخ محمود مدينة نابلس، وتوطدت علاقاته مع مشايخها وبعض أهلها، فمنهم من عرفه أثناء دراسته في الجامع الأزهر في مصر، ومنهم من عرفه خلال عمله في التدريس في جامع البيك، ومنهم من عرفه من خلال لقاءاته بالمشايخ لدى زياته المتكررة للمدينة. وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ محمود يشغل عضواً من أعضاء الدعاوى والمحاكم في منطقة بني صعب، كان أصدقاءه في نابلس يشغلون نفس الوظيفة، ومنهم الشيخ عباس الخماش والشيخ بدوي عاشور. كذلك عندما كان الشيخ محمود مفتياً في منطقة بني صعب، كان صديقه الشيخ نمر الداري

(١) من أوراق ابنه الشيخ محمد البسطامي

مفتياً في مدينة نابلس، فيلتقيان في جلسات طويلة
ليتباحثا في شؤون الإفتاء.

اتسمت علاقة الشيخ محمود بمشايخ نابلس
بالإخاء والوفاء والألفة والمحبة والاحترام المتبادل،
والتشوق الدائم للقاءات الجميلة التي كانت مليئة
بحوارات دينية وفقهية وشرعية وأدبية واجتماعية
وسياسية، فقد جال سهم وساجلهم وبادلهم الرؤى
والأفكار بأسلوب عكس ثقافته أبداً وشعراً وفقهاً
وتاريخاً.

كان يصل ويحول في رحاب اللغة العربية إلى
جانب أنه كان راوية للأحاديث الشريفة والشعر،
يستشهد بهما في كل موضوعاته بقالب مشبع بالفكر.
ومن أهم المشايخ الذين كان يجالسهم الشيخ عبدالله
صوفان القدومي، والشيخ عبد الفتاح الحجاوي
والشيخ نمر الداري والشيخ عمرو عرفات، والشيخ

منيب هاشم، والشيخ عمر زعير والشيخ محمد تفاحة. كان المشايخ في نابلس يعتبرونه سيد المجالس، فمن علمه يتعلمون، ومن ينابيعه ينبلون، وعلى خطاه يسيرون، إلى جانب شخصيته الجذابة في الفكاهة وخفة الدم.

كانت معظم جلسات المشايخ في حانوت (دكان) الشيخ عبد الفتاح الحجاوي في السوق القديم، حيث تباع في هذا الدكان الكتب والطوابع والأدوات المدرسية والكتابية. وكان حانوت الشيخ عبد الفتاح أشبه بدار ندوة، تدور فيها الأحاديث والنقاشات الدينية والأدبية والفكرية والاجتماعية، وإن حان وقت الصلاة، فإنهم يتوجهون معاً إلى المسجد الحنفي ليصلوا جماعة، فكانوا يكرمون الشيخ محمود ويقدمونه إماماً.

وفي يوم من الأيام اتفق أصدقاؤه المشايخ أن يقعوا في مقلب، ولما اجتمعوا وجّه الشيخ محمد

منيب هاشم سؤالاً للشيخ محمود قائلاً: ما رأيك يا
شيخ محمود في قول الشاعر:

رأيت آدم في نومي فقلت له

أبا البرية إن الناس قد زعموا

أهل الفلاحة نسل منك قال أنا

حواء طالقة إن صاحب قولهما

فانفجر الحضور بالضحك المتواصل مما أخرج الشيخ
محمود، لأن الكلام فيه تهكم على الفلاحين، ويقلل من
شأن أهل القرى، فقرر الشيخ محمود أن يرد عليهم
بكلام أقسى في اللقاء القادم، ولما التقوا بدؤوا
يتطارحون الأحاديث، وكل يدلي بدلوه، إلى أن جاء دور
الشيخ محمود وقال: لدى قصيدة أحب أن تسمعواها،
فنصت الجميع لقصيدة لم يتوقعوها.

يا أهل نابلس التّر
حارت بوصفكم الفكر
أنتم لسوء فعالكم
قبحّتم بين البشر
أنتم لطول لسانكم
نار السعير لكم مقرٌ
الفجل فزلٌ عندكم
وكذا ابن خالته الزذر
عن ماء زمزم قلتم
ماء مجمزم با بقر
والشمس قلتم إنها
سمسٌ وذاك هو الأمر
أمراوكم وزراوكم
منا إذا الأمر اشتهر

تباً لكم صباحاً مسا
من غاب منكم أو حضر
ضحك الحضور وقالوا: قسوت علينا ياشيخ محمود،
فقال: القادر أعلم. وكذلك في نفس الجلسة بين
الشيخ محمود لأصدقائه الشيخ بأن البيتين اللذين
ذكرا في الجلسة السابقة، وفيهما تهكم على الفلاحين
هما بيتان اقتبسا مع شيء من التغيير من قصيدة لأحد
شعراء الأندلس، الذي صور الصراع بين العرب
والبربر، فهذا البربر بقوله:

رأيت آدم في نومي فقلت له
أبا البربر إن الناس قد زعموا
أهل البرابر قوم منك قال أنا
حواء طالقة إن صح قولهما

وهنا فاجأ الشيخ محمود أصدقائه بسعة اطلاعه
وغير علمه ووافر ثقافته.

لقد ظلّ الشيخ محمود يكثُر من التردد على مدينة نابلس، فهو لا يستطيع أن يستغنى عن أصدقائه المشايخ وبنفس الوقت لا يعرف أن يعيش إلا مع جو المشايخ، ونابلس بيته حاضنة لعدد من المشايخ من أصدقائه ومعارفه.

كان يقتني حماراً كوسيلة للتنقل والسفر، فكانت رحلته إلى نابلس على ظهر حماره، وما دخل القطار إلى مدينة نابلس عام ١٩١٥ صار الشيخ محمود يسافر بالقطار المار من محطة عنبتا متوجهاً إلى مدينة نابلس، فاصبح السفر سهلاً.

مع الشيخ عبد الفتاح الحجاوي

جاء في كتاب (الكواكب الدرية في العقائد الإسلامية) من تأليف الشيخ عبد الفتاح حجاوي من نابلس عدة تعليقات على الكتاب منها الشعر ومنها النثر، وكلها مدح وثناء على الكتاب والكاتب. وهذه التعليقات لكتاب الشعراة والعلماء في منطقة نابلس، ومنهم الشيخ محمود عبدالحليم العنباوي، الذي يقول:

عندما تأملت هذه العجالة، وسرحت نظري بهذه الرسالة، وجدتها غاية في الأهمية، ونواحٍ نوافجها المسكيّة عابقة، فاقتطفت من رياضها النضيرة أجمل الأزهار، وشممت من نفيس أنفاسها ما يهزأ بأنفاس العرائس الأبكار.

رسالة كشفت عن كل غانية

نقاب وجه حكى في حسنه القمرا

اعكف عليها وقبل حسن مبسمها

إذ مثلها في جميع الكون لست ترى

فكيف ومصنفها الحبر الذي هو بكل وصف جميل
حاو، الفاضل الهمام والأسد الضراغم الشيخ
عبدالفتاح الحجاوي، متّعنا الله بطول حياته، وأمدّنا
بميراثه ومؤلفاته. ولما تكحلت عيناي بأثمد عباراتها
الشافية، وأجلت فكري في بدائع أسئلتها وأجوبتها
الكافية، قرضتها بهذه الأبيات راجيا من مؤلفها أن
يشملني منه بصالح الدعوات ، فقلت :

رسالة قد حوى أسلوبها عجبا

يهتز دارسها من لطفها طربا

لاحت كواكبها للعين في غسق

وقد أبانت لنا ما كان محجبا

قررت بها عين قاريهما وسامعها
ونال حافظها من هديها الأدباء
بفضل طالعها للناس قد شهدت
إذ أنها أفصحت عن كل ما وجها
الله من فاضل أهدى لنا درا
قد صاغها متقدنا كي يدرك القراء
فكم له من أياد جل خالقها
تجلى قدرًا فسبحان الذي وهبها
ما شام مكرمة إلا وثابرها
ولا رأى طاعة إلا لها وثباً
نعم الهمام مفيد الخير مرشدنا
حباه من فضله الفتاح ما رغبا
لا زلت يا عابد الفتاح تمنحنا
فوائد العلم كي نرقى بها رتبنا

مع الشيخ عبد الله صوفان القدومي

ولد الشيخ عبد الله صوفان القدومي في قرية كفر قدوم قرب نابلس عام ١٨٣٠، ودرس في دمشق على يد أشهر علماء الحنابلة، وبعد أن عاد إلى نابلس تولى التدريس في الجامع الصلاحي، فذاع صيته، واجتمع علماء الحنابلة حوله. ثم عمل مدرساً في جامع البيك، وهناك التقى بالشيخ محمود المدرس في نفس الجامع، فتعارفا، وعرف كل منهما قدر الآخر. وتكرر لقاءهما مع بقية المشايخ في حانوت الشيخ عبدالفتاح الحجاوي، فتوطدت الصداقة بينهما، وكانا يصولان ويجلوان في قضائيا فقهية وشرعية. وكان الشيخ القدومي يتبااهي أمام المشايخ بتلميذه المتفوق الشاعر والعالم والمفتي محمد منيب هاشم (١٩٢٤-١٨٥٥)، فيرد عليه الشيخ محمود: وأنا أتباهي بتلميذك الشاعر والعالم أحمد البسطامي (١٩٤٥-١٨٧٢). وكثيراً ما كان يحصل هنا

التباهي بحضور الشيوخين الجليلين هاشم والبسطامي،
فيقف الشيخ محمد منيب هاشم راداً الفضل لأستاذه
الشيخ عبد الله القدوسي، ويقف الشيخ أحمد
البسطامي راداً الفضل لأستاذه الشيخ محمود.

وقد أصدر الشيخ القدوسي تصانيف كثيرة من
أهمها (المنهج الأحمد في درء المثالب التي تُنمى لذهب
الإمام أحمد) وذلك عام ١٩٠٢، وقد أهدى نسخة
للشيخ محمود عبد الحليم، فأعجب بها الشيخ محمود،
وعلّق عليها بقصيدة أهداها للشيخ القدوسي، وقرأها في
حضره مجموعة من العلماء، وفيما يلي القصيدة:

رسَالَةُ گُفْرَوِدِ الدُّرِّ فَائِقَةُ

فِيَالَّهَا تُحْفَةُ مَا مِثْلَهَا تُحَفَُّ^(١)

(١) عبّتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء محمد نصار صفحه ١٤٠

تَزْهُو فَوَائِدُهَا كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ
وَالبَدْرُ فِي شَرَفٍ مَا شَانَهُ كَافٌ
فَاحْفَظْ عَبَائِرَهَا وَاشْمُمْ عَبَاهِرَهَا
وَاقْطُفْ أَزَاهِرَهَا فَالزَّهْرُ يُقْتَطِفُ
وَاسْرِجْ بِرَوْضَتِهَا وَاشْطُحْ بِنُزْهَتِهَا
كَادَتْ لِخَفَّتِهَا بِاللَّمْحِ تُخْتَطِفُ
وَالْمُؤْرِدُ الْعَذْبُ لَا يَنْفَكُ مُزْدَحِمًا
تَوَدُّ مِنْهُ جَمِيعُ النَّاسِ تَرْتَشِفُ
ذَا الْمَنْهَجِ الْأَحْمَدُ الْمَرْضِي يَقُولُ لِمَنْ
قَدْ أَمَّهُ نَاهِجًا إِيَّاكَ تَنْحَرِفُ
فَصَاحِبُ الْفَضْلِ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدُنَا
أَبَانَ فِيهِ لَنَا مَا سَنَّهُ السَّلَفُ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي جَلَّتْ فَضَائِلُهُ
عَنْ أَنْ تُضَاهِي وَقَدْ ضَاقَتْ بِهَا الصُّحُفُ

حَبْرٌ تَقِيٌّ نَّقِيٌّ زَاهِدٌ وَرُعْ

وَعَنْ طَرِيقِ الْهُدَى مَا كَانَ يَنْحَرِفُ

مَدَارِسُ الْعِلْمِ أَصْحَاثٌ فِيهِ عَامِرَةٌ

هَذَا الْفَخَارُ وَهَذَا الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ

هَذَا هُوَ الْفَخْرُ لَا نَشْرُ يُعَادِلُهُ

مَا الْمَالُ مَا الْجَاهُ مَا الْوَلْدَانِ مَا الْغُرَفُ

إِذَا تَصَدَّى لِتَدْرِيسِ الْعُلُومِ يُرَى

كَانَهُ مِنْ عُبَابِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ

وَيَا لَهُ مُنْصِبًاً مَا اعْوَجَ مَنْهَجُهُ

هَلْ يَسْتَوِي سَالِكُ الرُّشْدِ وَمُنْحَرِفُ

حَدِيثٌ عَنْ الْبَحْرِ يَا هَذَا وَلَا حَرجٌ

هَذَا الَّذِي فِيهِ أَهْلُ الْفَضْلِ تَعْتَرِفُ

الشيخ محمود

إماماً وخطيباً وواعظاً ومأذوناً

وسلم الشيخ محمود عبدالحليم عمله إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا عام ١٨٨٨ ميلادي خلفاً للشيخ محمود إسماعيل أبو العون الذي كان إماماً وخطيباً من عام ١٨٨٤ إلى عام ١٨٨٨ ميلادي. وظل الشيخ محمود عبدالحليم في عمله حتى عام ١٩١٥ ميلادي. وما صلى أحد وراءه وبخاصة صلوات الصبح والمغرب والعشاء إلا اشتهر أن يعود ليصلي مراراً، لأنه وجد لذة العبادة وحلوة الإيمان وجودة الترتيل وحسن الخشوع، وبذلك زاد عدد المصلين في المسجد.

وكان لصلاة الصبح عند الشيخ محمود طعم خاص، فقد كان الشيخ محمود يصل إلى المسجد مبكراً، فيحيي المسجد بركعتين، ثم يأخذ مكانه المعهود، ويفتح المصحف الشريف، ويبدأ المصلون

بالتواجد على المسجد تباعاً مع سماعهم قرآن الفجر
ينبعث من صوت الشيخ محمود مرتلا بصوته الرخيم،
بصوته الرقيق الشجي، فههز مشاعر كل من هو في
المسجد، ويبقى هذا المشهد إلى أن يقيم الصلاة مقيمها،
ويتكرر هذا الحال عند صلاة الصبح في كل يوم^(١).

وأرى أن لابد من ذكر هذا الموقف: كان في الرابعة
عشره من عمره عندما كان يحضر إلى المسجد لأداء
الصلاحة، فيطلب منه أصدقاؤه وعارفوه أن يتم
بالمصلين مع صغر سنّه، فيقوم بالإماماة، ويحتاج بعض
المصلين الكبار على إمامته لأنّه ولد، ولا يضع عمامة
على رأسه، وليس له لحية، وكان الشرط في الإمام أن
يضع عمامة وأن يكون له لحية، فيرد عليهم محمود

(١) ذكر الشيخ عبد الله حنون: كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما كنت أرافق والدي لأداء صلاة الفجر في المسجد، فأجد راحة ورغبة ومتعة في الحضور إلى المسجد

لأن الصلاة بمعية الشيخ محمود

الفتى: سهلٌ علي أَنْ أَصْعِدْ عَمَامَةً، وَلَكُنْ مَنْ أَيْنَ آتَيْ لَكُمْ
بِلْحِيَة؟ فَيَعْجِبُونَ وَيَضْحِكُونَ لِكَلَامِهِ، وَيَقْبَلُونَهُ
إِماماً^(١).

أما خطبه في المساجد فلم تكن خشبية لا رواء فيها
ولا روح، بل كانت نديّةً تخلق الانسجام مع المصلين،
وعرف عنه أنه كان خفيف الظل في خطبه، فلا يثقل
على المصلين في طول الخطبة، ولا يُدخل السأم والملل
إلى نفوسهم، وإذا كان الطقس حاراً أو بارداً يكتفي
بخطبة قصيرة شعوراً مع المصلين. والجميل الجميل أنه
كان يلطف الجو بنكتة مليحة أو حكاية مضحكة،
فيضحك المصلون بملء أشداقهم، وهكذا كانوا
يتشوّدون لسماع خطبه في كل جمعة، أو في كل حلقة
من حلقات الدروس. ومن الجدير ذكره أنه كان يلقي

(١) رواها الشيخ عبد الله حنون من ذاكرة والده الحاج مصطفى

خطبه ارتجالياً وباللغة الفصحي دون أن يلحن (يخطئ في قواعد اللغة)، دون الاستعانة بورقة^(١).

وقد لعب الشيخ محمود دوراً مهما في الوعظ والإرشاد، فكان بعد صلاة كل عصر يعقد جلسة للمصلين ليعلمهم أمور دينهم، ويبصرهم بالفرائض وأحكامها وطريقة أدائها، حيث كان الناس في ذلك الزمن أميين، ويسيطر عليهم الجهل، وينقصهم الوعي في كل أمور الدين والحياة. وكان ينتهز شهر رمضان والمناسبات الدينية فيكثر من عقد هذه الجلسات، وكان المصلون يشعرون بالرضا والراحة، فيتشجعون على طرح أسئلة دينية على الشيخ، فيجيبهم عنها. وهكذا كانت تتكرر جلسات الوعظ والإرشاد فيزداد الناس علمًا ووعيًّا وثقافة بشؤون دينهم ودنياهם.

(١) شهادة الشيخ عبدالله حنون، وشهادة ابنه الشيخ رفيق محمود

وفي المأذونية تشير سجلات المحكمة الشرعية في منطقة بني صعب أن الشيخ محمود أسنده إليه تكليف بالقيام بأعمال المأذون بالإضافة إلى عمله إماماً وخطيباً وواعظاً. ويعتبر المأذون الشرعي نائباً للقاضي الشرعي، بمعنى أن القاضي أذن له أن يقوم بتوثيق عقود الزواج، وقد كان الشيخ محمود حريصاً على توثيق عقود الزواج توثيقاً صحيحاً حسب الضوابط الشرعية. وهذا نموذج من عقود الزواج التي طلب القاضي الشرعي في طولكرم من الشيخ محمود إجراءه وتوثيقه^(١).

(١) عنتبا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء محمد نصار صفحة ١٨١

إلى إمام قرية عنتا الشيخ محمود أفندي عبد الحليم دام موفقاً بالخير
غُب [بعد] التحية السنّيَّة تُهنيء إليك أَلَّه بناء على المضبوط الواردة من مختارين ومجلس
اختيارية قريتكم المتضمنة إنَّ سليمان بن الحاج مصطفى أفندي القبج مراده الزواج
بالمرأة الأَئِبْ فاطمة بنت محمد أبي أحمد، كلاهما من أهالي قريتكم، فيقتضي منكم
إجراء عقد النكاح بينهما بحضور الأُولياء، والشهدود العدول، على منهج الشريعة
الأَمْدِيَّة إذا لم يكن هناك مانع شرعيٌّ ونظاميٌّ يمنعهما من ذلك، أعلم ذلك والسلام

٢٦ شعبان ١٣١٥ هجري.

[الموافق: ٢٢ كانون أول عام ١٨٩٧ م]

الشيخ محمود حنبلی التابعية

كان الشيخ محمود حنبلی المذهب، وقد ورث التعصب للحنابلة من والده الشيخ عبدالحليم الثاني الذي أخذ المذهب الحنبلی عن آبائه، وقد كان جريئاً في الدفاع عن المذهب الحنبلی، وحصلت خصومة بينه وبين الشاعر العلامه الشيخ يوسف النبهاني^(١) (١٨٤٩ - ١٩٣٢) من قرية اجزم قرب حيفا، الذي انتقد بعض علماء الحنابلة بالقصوة والتجريح، وتعرض لكتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدین) من تأليف نعمان خير الدين الألوسي الواعظ والفقیه المولود سنة ١٨٣٦ م والمتوفى سنة ١٨٩٩ م، العراقي الجنسية.

أما الأحمدان فهما أحمد تقی الدین بن تیمیة الدمشقی العالم الفقیه أحد أئمة الحنابلة، وأحمد بن

(١) هو جد تقی الدین النبهانی الشیخ الأزهري مؤسس حزب التحریر. توفي عام ١٩٧٧

حجر الهيتمي المصري من فقهاء الشافعية المتوفى سنة
١٥٦٦ ميلادي.

وقد قال الشيخ محمود في النهاني شرعاً لادعاً ظهر
في قصidته الكافية المشهورة عند علماء ومشايخ
عصره، والتي لم أثر الا على مطلعها وهو:

لقد خاض في التيار يوسف ذا هلاً

ولم يك ذا عومٍ ولا راكب الفلك

أما بالنسبة للمذهب الحنبلـي، فقد نشأ أول ما نشأ
في العراق على يد الإمام أحمد بن حنبل أحد الأئمة
الأربعة في الإسلام السني وهم: أبو حنيفة النعمان،
ومالك بن أنس، ومحمد به إدريس الشافعي، وأحمد بن
حنبل، ثم انتقل المذهب الحنـبلي إلى فلسطين، فعمّ
معظم أنحاء فلسطين، ثم قام أهل فلسطين بنشره في
مصر.

كانت عنبتا والقرى التي حولها كلها تسير على
المذهب الحنفي، وما زالت إلى اليوم. والجدير بالذكر
أن مشايخ نابلس الذين هم أصدقاء الشيخ محمود
كانوا يسرون على المذهب الحنفي أيضاً.

مشايخ عنبتا وجامع البيلك

الحديث عن مشايخ عنبta هو حديث التاريخ، فهم صناع التاريخ وهم ومعهم تدور عجلة الأحداث، وهم الفئة المتنورة في البلدة، وهم أصحاب القصص والحكايات التي نسمعها، ولكنها مع الأسف لم توثق، ولم تدوّن في كتب، وقد لعب كل منهم دوراً إيجابياً في الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية في عنبta والمنطقة .

وقد كانت المشايخ تحتل مكانة عالية في المجتمع، وتحظى بالاحترام والتقدير من قبل جميع الناس، إضافة إلى أنهم كانوا يعفون من الخدمة العسكرية في الجيش التركي. وقد كثرت المشايخ في العهد التركي لأن الحكومة التركية شجعت على التعليم في المدارس الدينية، ولذا ظلت رايات الدين تتحقق في سماء ديارنا، فكثر طالبو العلم. وكانت مدينة نابلس من أهم المنارات

التي تشع بنور المعرفة، ففيها جامع البيك الذي يقع وسط المدينة القديمة، وكان يسمى جامع العين نسبة إلى عين الماء التي تقع قربه، وأصبح يسمى جامع البيك نسبة إلى البيك إبراهيم طوقان. وإبراهيم هذا رئيس علماء نابلس عام ١٧٤٥ ميلادي، وزعيم آل طوقان، وكان الجامع في زمنه كنيسة فوضع يده على الكنيسة في القرن الثامن عشر من أجل تحويلها إلى مسجد، واعطى المسيحيين قطعة أرض يملكونها ليبنوا عليها كنيسة، وهي اليوم الكنيسة القائمة في البلدة القديمة قرب جامع الخضر في البوابة الغربية.

اهتم إبراهيم بك طوقان بتعليم الدين الإسلامي، فعندما حول الكنيسة إلى مسجد وضع في حسابه أن يكون الطابق العلوي محتوياً على أكثر من عشرين غرفة، تخصص منها غرف للتدريس وغرف لمنامات

الطلاب القادمين من خارج نابلس، وما تزال الغرف قائمة حتى الآن.

ويعود الفضل لهذا الجامع، في تخرج أفواج كثيرة من الأئمة والخطباء والوعاظ ورجال الإفتاء والمأذونين. ومعظم شيوخ عنبتا الذين ظهروا بعد عام ١٨٨٠ م تلقوا تعليمهم في هذا الجامع، ويبلغ عددهم أكثر من أربعين شيخاً، وقد سبقهم الشيخ عبد الحليم (الثاني) والد الشيخ محمود في التخرج من هذا الجامع، ثم واصل تعليمه في صالحية دمشق.

وكانت هيئة العلماء المسؤولة عن المدرسة الدينية في جامع البيك تمنح خريجيها شهادة معترف بها من الأزهر الشريف ومن دمشق، لذلك كان الخريجون يواصلون تعليمهم إما في الأزهر وإما في دمشق.

ومن أشهر مشايخ عنبta الذين درسوا في جامع البيك:

- الشيخ عبد الحليم (الثاني) والد الشيخ محمود
- الشيخ محمود عبد الحليم
- الشيخ اسماعيل عبدالله
- الشيخ محمود اسماعيل ابو العون
- الشيخ حسين شهاب
- الشيخ نجيب أبو العون
- الشيخ علي شهاب
- الشيخ سليم القبج
- الشيخ قاسم كنعان
- الشيخ محمد اسعد عورتاني
- الشيخ محمد جابر عدس
- الشيخ عارف محمود عبد الحليم
- الشيخ فارس عورتاني
- الشيخ عبد الرحيم يوسف شهاب
- الشيخ يعقوب عرفات
- الشيخ محمد جاد الله

- الشيخ إبراهيم السعدي

- الشيخ أحمد ملحم

حياة أهل عنبتا في العصر التركي

كانت حياة الناس ومعيشتهم في عنبتا كسائر أهل القرى والريف، يسيطر عليها الفقر والقلة والصعوبة، إذ كانوا يعتمدون على الزراعة، فياكلون مما تنتج الأرض في جميع مواسمها، ويربون الأغنام والبقر من أجل الحصول على الحليب واللبن والجبن واللحوم، ويكثرون من تربية الطيور كالدجاج والحمام لينتفعوا من لحمها وبيضها.

وكانوا يعتمدون على آبار الجمع في الحصول على الماء؛ إذ كان أمام كل بيت بئر تجمع مياهه من أمطار السماء في فصل الشتاء، فكانوا حريصين على أن يكون البئر نظيفاً وممياً لاستقبال المطر في كل موسم من مواسم المطر، ومن لا يملك بئراً فإن أفراد أسرته مضطرون أن ينقلوا الماء من أماكن بعيدة، وفي هذا مشقة وتعب. أما الإنارة فكانت تعتمد على مصابيح

الказ، وكانوا يعتمدون على الحطب كوسيلة لطهي الطعام، فكانوا يستعملونه كوقود لإشعال النار في المأقد والأفران لطهي الطعام، وتسخين الماء للاستحمام والتدفئة، ولذا كان أمام كل بيت مجموعة من حزم الحطب، وكان لزاماً على أفراد الأسرة أن تقوم بجمع الحطب من الجبال وتوفيره باستمرار.

وقد عاش الناس بلا وظائف تدرُّ عليهم دخلاً، واعتمد كل إنسان على نشاطه الذاتي في توفير الحد الأدنى من مستلزمات المعيشة من مأكل ومشرب وغيرها. أما البيئة فكانت مغلقة، فلا وسائل مواصلات ولا وسائل اتصالات، إلا على الدواب، إلى جانب الجهل المطبق والفقر المسيطر والمرض المنتشر.

أما الملابس، فكانوا يقتنون الملابس البسيطة بما يقيهم حر الصيف وبرد الشتاء، ولذا كانت حياتهم فيها

القناعة والكفاف، فلا ترف ولا رفاهية ولا رغد ولا
كماليات.

وفي الجانب الآخر، رغم كل الصعوبات وشظف العيش، عاش الناس حياة مليئة بالمحبة والرضى والتعاون والاحترام، وكانت تربطهم علاقات اجتماعية في مناسبات الأفراح والأتراح، ولهذا اعمت البركة في ظل الصدق والوفاء والإخلاص والمشاعر الإنسانية، وقد لعب الشيخ محمود دوراً إيجابياً في هذا المجال، إذ كان حريصاً في دروسه الدينية وخطبه على المنبر على توجيهه الدرس والنصائح لأهل بلاده، فانتصروا بها وعاشوا حياتهم بهدوء وسعادة وقناعة.

الرحلة اللبدية في عيادة مرضى طبرية

هذا هو عنوان القصيدة الطويلة التي نظمها الشيخ محمود^(١)، ومناسبتها أن مجموعة من مشايخ منطقة بني صعب عزموا على القيام برحلة إلى طبرية على ظهور الخيل، لزيارة أصدقائهم المشايخ الذين كانوا قد أصيبوا بمرض الكوليرا^(٢)، وتم شفاؤهم، وذلك عام ١٩٠٢، وقد ناموا ليلتهم في قرية كفر اللبد، وفي الصباح الباكر انطلقوا في رحلتهم.

أما لماذا مرضى طبرية؟ فلأن عبد السلام الطبرى (١٩٢٣-١٨٣٣) مفتى طبرية وصديق الشيخ محمود

(١) حصلت على القصيدة من بيت عمي جميلة في قباطيه، وكذلك اطلعني المحامي محمود الشيخ ياسين على القصيدة من بين أوراق جده، ولكبها كانت تنقص كثيراً من الأبيات.

(٢) في عام ١٩٠٢ انتشر مرض الكوليرا في معظم أنحاء فلسطين، وكان يطلق عليه اسم الهواء الأصفر، وقد مات بسببه المئات من الناس.

وزميله في الجامع الأزهر كان أحد المصايبين، وهو الهدف
الرئيس من الزيارة.

وقد ترأس الشيخ محمود هذه الرحلة، ودونَ
مسيرتها بهذه القصيدة الطويلة ذاكراً أسماء القرى التي
مروا بها أو نزلوا فيها، مع ذكر انطباعه عن كل قرية،
وذكر أسماء بعض الأعلام.

ومن المشايخ الذين رافقوا الشيخ محمود في هذه
الرحلة حسب الوثيقة التي اطلعني عليها المحامي
محمود الشيخ ياسين من كفراللبد، وهي من أوراق
جده الشيخ عبد الغني: الشيخ أمين عبد الباقي والشيخ
سليمان العابودي والشيخ عبد الغني ياسين (من كفر
اللبد)، والشيخ إبراهيم سمارة والشيخ علي الكرمي (من
طولكرم) والشيخ عبد القادر التفال (من ذنابه)
والشيخ محمد حطاب (من سفارين)، والشيخ محمود
عبد الحليم (من عنتا).

جُل في الْبَلَاد مسافرا
 متَحَدّرا متصعدا
 لا تخش من تعب ولا
 سفب وكن متصربا
 واصحاب لبيبا عاقلا
 متقططنا متبصرنا
 وإذا مررت بـ (عَجَّةٍ)
 فتعذر واجعلها ورا
 واحدز ضيافة أهلها
 ما للضيوف بها قرى^(١)
 بخلوا بأرغفة على
 أضيفهم لو بالشِّرا^(٢)

(١) قرى: طعام الضيف

(٢) الشِّرا: الشراء.

لا يُدخلون بيوتهم ضيما ولو دفع الكري^(١)
 ولقد عرتهم ذلة و كابة^{*} بين الوري^(٢)
 وإذا اقتربت بأرض(جي)
 حاذرا نين) الوحيمة كما فيافها
 واقطع محسرا قطع الحجيج صفر الوجوه ولأهلها
 واعفرا احث التراب مياهها وارود واحدز
 تتأخرا وانهض ولا فحد (مقبلة)^{*} أما

(١) الكري : الأجره

(٢) الوري: الناس

عنها وول مدبرا
 واعمد ل (صندلةً) بها الأكارم تلق معشرا (١)
 وانزل مضافتها تجد سامر مشايخها ولا
 خيراً بها مستحضرها مكررا تطل الحديث
 حتى تكون مكرّما ومبجلا ومموقرا
 واجعل مبيتك عندهم مستأنساً
 مستبشراً وبا الصباح فسر ولا
 تكسل ولا تخش السُّرى
 عرج على (عفولة)

(١) الشيخ محمد العمري من رجالات صندلة

واقتصر هنالك عنبرا
 فيه ترى أبناء (نابلس)
 النيرا الشباب
 كل الأصالة عندهم
 والأمر لن يتعرّضا
 وإذا أتيت مدينة الصليان^(١)
 ظاهرا^(٢) فاحذر
 جربته فوجدته
 متكتبرا متجبرا
 فظاً غلبيظا مجرما
 يلقى الضيوف مكشرا
 إذ جئته لأضيفه
 فإذا الضيافة نافرا
 تبأا له ولأمه

(١) مدينة الناصرة

(٢) ظاهر شخص من الناصرة لم يتمكن من الكشف عن هويته

ولدت خاسراً لئيما في البخل شابه مادرا^(١)
 تعاشه فكأنه له فإذا الرذائل كلها عرضت عليه لها اشتري
 بلد مزخرفة البناء^(٢)
 وجآدرا^(٣) ملئت ظباً لكن زينة أهلها
 آل الفهوم^(٤) بلا مراً واقتضى (كسال) تجد بها
 كل الوفاء معس克拉ً انزل بدار صديقنا

(١) رجل ضرب به المثل في البخل فقال العرب: أبخل من مادر

(٢) البناء

(٣) غزلان وبقر الوحش إشارة إلى جمال نساء الناصرة

(٤) آل الفاهوم من أشهر عائلات الناصرة

تجد الفراش الأوبرا
الفاضل المضياف عبد الله
مرتفع الذري (١)
وإذا وصلت لـ(طمرة) أو
جئت (طيبة) الثرى
فانزل بأيهما أردت سوى
الشهامة لن ترى
جلبوا على بذل الندى
فاقوا الغمام الممطرا
وزكت رواح طبخهم
والماء يشبه كوثرا
وإذا صحوت فسر إلى
(طبرية)
متبدرا

(١) الشيخ عبدالله دراوشة من رجالات قرية اكسال

وانزل بيت سعيدها^(١)
 ذاك الوفي بين الورى
 في يلقاك ترحابه
 ومعبرا متهلا
 ورث المكارم عن أبٍ
 والصيد في جوف الفرا^(٢)
 رب السماحة والندي
 شهم يسابه عنرا
 ولعنه المفتي استضاف
 بلقائه لن تخسرا

(١) هو الشيخ سعيد الطبرى من أعلام طبرية، كان عضواً في مجلس إدارة قضاء طبرية،

وهي سنة ١٩٠٠ انتخب رئيساً لمجلس بلدية طبرية. توفي عام ١٩٢٩

(٢) من الأقوال المشهورة.

العلا أخو عبد السلام^(١)
 للضيف كان مشمرا
 تحكي محسن لطفه
 لطف النسيم إذا سرى
 ولأهل (لوبية)^(٢) فزر
 وانزل بها متذكرا
 رشدانها^(٣) من سادة
 كل يفوق غضفرا
 عرب الصبيح^(٤) تهابه
 فتهاب ليثا كاسرا

(١) هو الشيخ عبد السلام الطري من أعلام طبرية، زميل وصديق الشيخ محمود في الجامع الأزهر، عمل مفتياً لطبرية من عام ١٨٧٤-١٩٠٨، وكان الشيخ محمود مفتياً في قضاء بني صعب في تلك الفترة.

(٢) رجالها من آل رشدان عائلة من أشهر عائلات لوبية

(٣) عرب الصبيح قرية بين الشجرة وكفر كنا

وانزل ب حيفا ولتكن
من أهلها متقدرا
نم ليلتين بها وقم
من غير أن تتقدرا
واركب على عجل وأب
شاكرا ربك الله
وإذا وصلت الأهل صف
ما قد لقيت مخبرا
عن رحلة بدية
ما مثلها أبدا ترى
لم ألق من مكروهها
 شيئا يسيء الخاطرا
غير الذي قدمته
لك ذاكرا ومحرا

الشيخ محمود في الإدارة والقضاء

ورد في الجزء الثالث من كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء مؤلفه إحسان النمر من مدينة نابلس، وفي صفحة ١٨: إن الإدارة التركية في أواخر عهدها شكلت مجلساً ليساعد المتصرف في إدارة شؤون المنطقة، وقد أطلق عليه اسم مجلس الشورى، ثم تحول إلى مجلس الإدارة، وقد اختير أعيان يمثلون قضاء السلط وأعيان يمثلون قضاء نابلس، وأعيان يمثلون قضاء جنين، وأعيان يمثلون قضاء بني صعب في منطقة طولكرم. وكان من أعيان قضاء بني صعب ست وعشرون شخصية وهم: يوسف الناشف ومحمد الحسين وال حاج إبراهيم إسماعيل ومحمد أبو هنطش وحامد الناشف وعبد الرحمن العبد الله وعيسى البرقاوي وعبد الرحيم الجيوسي وإبراهيم الجيوسي والشيخ إبراهيم سماره ومحمود العبد الحليم وعبد الجبار الإعمري

وأحمد هلال ومصطفى القبج وعبد الحميد الناشف
ومحمد حنون وعبد الله الإعمري وحامد أبو الرب
وإبراهيم خليل والشيخ نجيب عبد المنان وأحمد حمد
الله وأسعد العموص وذيب عبد القادر القعدان وعبد
الله الزامل وقاسم أبو الصيصان.

وهكذا يتضح أن ثلاثة من شخصيات عنبتا كانوا
أعضاء في مجلس إدارة قضاة بني صعب على النحو

التالي^(١):

- الحاج مصطفى القبج عضو مجلس إدارة عام

١٨٨٦، ١٨٨٧، ١٨٩٤

- احمد الحمد الله عضو مجلس إدارة عام ١٩٠٢

و ١٩٠٦ و ١٩٠٨

(١) عنبta في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء نصار

- الشيخ محمود عبد الحليم عضو مجلس إدارة
عام ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٩

كما تشكلت محكمة بداية قضاء بنى صعب المكونة
من رئيس بالإضافة إلى عضويين مميزين ينتخبون لمدة
ستين، وكان من أعضاء المحكمة أربعة من أبناء عنبتا
وهم^(١):

- الحاج مصطفى القبج عضو محكمة بداية بنى

صعب عام ١٨٨٩ - ١٩٩١

- الشيخ محمود عبد الحليم عضو محكمة بداية

بني صعب عام ١٩٠٢ - ١٩٠٤

- الشيخ محمد الحاج نصار عضو محكمة بداية

بني صعب عام ١٩٠٦ و ١٩٠٨ و ١٩٠٤

(١) عنبتا في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء نصار

- الشيخ إسماعيل عبد الله إسماعيل عضو

محكمة بداية بنى صعب عام ١٩١٦-١٩١٨

كان الشيخ محمود يؤمن كل الإيمان بأن الذي
ضيّع الإسلام هم الحكام الظالمون، والمشايخ
الجاهلون، والقضاة الفاسدون، ولذلك كان يشكل
ثورة على القضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله،
ويستبدلونه بأحكام جائرة ترضي ذوي النفوذ وأصحاب
المصالح والأغنياء مقابل رشوة يدفعونها لهم.

وعندما عين قاضياً، كان مضرب الأمثال في توجيهه لإنصاف المظلومين، وإحقاق الحق لأصحاب الحق، وكان شديداً في هذا الأمر، ولا يحسب حساباً لأحد مهما كان شأنه، ومهما كان موقعه. وفي فترة زمنية عرف عن قاضي من قضاة بنى صعب أنه كان يأخذ الرشا، فسخر منه الشيخ محمود قائلاً:

قاضي بني صعب ارتشا
من شأنهأخذ الرشا
لـه بدرهم حـنـحـنـ
تفعل به مهما تـشا

وفي حادثة أخرى، كان قد عُيِّن قاضٍ لمدينة جنين،
عرف باستبداده وظلمه، فكرهه أهل جنين وضمروا له
العداوة، وبينما كان سائراً في أحد الشوارع أُلقيت عليه
من أحد المنازل كومة من القمامات والقاذورات، وصار
الناس يتندرون بهذه الحادثة، وقال الشيخ محمود في
ذلك:

وَفِي جِينِينَ قاضٍ مُسْتَبْدٌ
لَدِيهِ مِنِ الْحَمَاقَةِ مَا لَدِيهِ
إِذَا مَا سَارَ يَوْمًا فِي طَرِيقٍ
تَرَى الْأَوْسَاخَ قَدْ قُدْفَتْ عَلَيْهِ
فَلَا عَجَبٌ فَقَدْ قَالُوا قَدِيمًا
شَبِيهُ الشَّئْ مَنْجَذِبٌ إِلَيْهِ
وَهُنَا لَابْدُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحُكُومَةَ التُّرْكِيَّةَ طَمَسَتْ
الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي تَخْرَجَتْ فِي الْأَزْهَرِ وَلَمْ تُعْطِهِمْ بِالْأَكْلِ،
وَلَكِنَّهَا فَطَنَتْ لَهُمْ فِي أَوَّلِ أَخْرَى عَهْدَهَا، فَعَهَدْتُ إِلَيْهِمْ

بمناصب الإدارة والقضاء، وهذا ما حصل للشيخ
محمود الذي تخرج في الأزهر عام ١٨٥٩، وتسلم عمله
عضوًا في محكمة بداية بنى صуб عام ١٩٠٢.

بنى صعب قضائي [صف ٢]	
(أئمورةن قضائي)	
قائمقام توفيق بك (ثانية) نائب محمد توفيق اندى	مال مديري نسان اندى محيرات كاجي سليمان اندى
(مجلس ادارة قضائي)	
اعضای منتخبه ابراهيم ساره اندى " " محمود عبد الحليم اندى " " عبد الجبار المر اندى " " احمد هلال اندى	رئيس قائمقام بك اعضای طبيعه نائب اندى " " مال مديري اندى " " محيرات كاجي اندى
(محكمة بداعية)	
باتكتاب عمر اندى مستطع معاون فارس اندى	رئيس نائب اندى اعضاً محمود حسون اندى محمد حاجي خصار اندى "

بيانات ولاية بيروت، ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م، ص ٢٤١

بنو صعب

إن بلاد العرب والمسلمين كانت وما زالت محطة
أطماء الدول الاستعمارية بسبب ت موقعها بموقعها
الجغرافي الممتاز، حيث إنها ملتقى قارات العالم القديم
آسية وإفريقية وأوروبية، ومعنى هذا أن موقعها ربط
الغرب بالشرق، فقامت الدول الاستعمارية وعلى رأسها
فرنسا وبريطانيا والمانيا والبرتغال وغيرها بالحملات
الصلبية على مدى قرنين من الزمان، وذلك لبسط
نفوذها وهيمنتها على بلاد العرب والمسلمين لتضمن
مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية.

ولما استفحلا الخطر هب القائد الإسلامي الشهير
صلاح الدين الأيوبي ووقف بكل حزم في وجه هذه
الحملات، فقد كان جيشه في البداية صغيراً، فدعاه كل
العرب والمسلمين للمشاركة في محاربة الصليبيين
الطامعين في أرض العرب، فلبّي العرب والمسلمون دعوة

صلاح للجهاد، وكان ممن لبى هذه الدعوة قبيلة بني
صعب التي خرجت من بلاد نجد في الجزيرة العربية،
ورفعت راية الجهاد، وشاركت باستبسال في معركة
حطين التي انتصر فيها العرب والمسلمون على
الصلبيين.

إن بني صعب القادمين من الجزيرة العربية
انتشروا في عدة أماكن في القتال، ومن هذه الأماكن
منطقة طولكرم، حيث قام صلاح الدين الأيوبي
 بإسكانهم في ٢٨ قرية، عرفت باسم الصّعيّيات، وقد
 عرف عن أبناء هذه القبائل بأنهم صعب وأشداء في
 محاربة الصلبيين. ومن الجدير بالذكر أن أحد
 الضباط الإنجليز ألف كتاباً عن ذكرياته في فلسطين
 عامه، وعن طولكرم خاصة، فأشار إلى أهالي منطقة
 طولكرم، ووصفهم بأنهم بنو المصاعب أي أهل
 الصعوبات والمشكلات في وجه الدولة، واعترف في نفس

الوقت بأن أهل منطقة طولكرم تفوقوا على بقية
المناطق في الناحية العلمية^(١).

(١) الشيخ سعيد الكرمي، سيرته العلميه والسياسيه مؤلفة عبد الكريم الكرمي

أهل عنبتا جبّروا الفقوسة

من طريف ما يروى عن أهل بلدة عنبta بين أهالي القرى المجاورة أنهم (جبّروا الفقوسة)، وكثيراً ما يتندر أهل المدن والقرى بهذه الحكاية. وأصل الحكاية كما رواها لي عمي الشيخ رفيق هو: بينما كان المزارعون من أهل عنبta يجمعون ثمار الفقوس من حقولهم في أرض السهل المحاذي للشارع الرئيسي غرب البلدة ويجهزونها للبيع في طولكرم ونابلس، مرّ بهم الشيخ محمود على حماره وهو ذاهب إلى عمله في طولكرم حينما كان عضواً في محكمة بداية قضاء بني صعب، وذلك في يوم من أيام عام ١٩٠٢، فدعوه أن يعرج عليهم لمسألة مهمة، فلما وصل إليهم سأله كرجل متنور في كل أمور الحياة، وهم البسطاء: ماذا نفعل بهذه الكميات من الفقوس المكسر والمقسوم؟ فأشار عليهم- وهو الشيخ الساخر وصاحب المقالب والنواذر- أن يأتوا له

بمجموعة من الأعواد الرفيعة من الحطب، فجمع كل
نصفين بعد مع شيء من التهذيب بالسكين لإخفاء آثار
التجيير، فراقت لهم الفكرة، وعملوا برأي الشيخ،
وطلب منهم أن يسوقوا هذه الكميات المجبرة إلى نابلس
وطولكرم، وما هي إلا ساعات حتى انكشف أمرهم من
قبل الزبائن الذين اشتروا الفقوس من أصحاب
الدكاكيين وأصبحوا حديث الناس، وبذلك عرف عن
أهل عنبتا أنهم هم الذين جبروا الفقوسة. وقد كانت
هذه الحكاية من حكايات التندر التي استغلها مشايخ
نابلس عند لقائهم بالشيخ محمود، فيرد عليهم الشيخ
محمود: نعم نحن الذين جبرنا الفقوسة بذكائنا،
وضحكنا عليكم. ومنذ ذلك الوقت والناس في منطقتنا
تردد: أهل عنبتا جبروا الفقوسة.

وعلى هامش عنوان أهل عنبتا جبروا الفقوسة،
أسواق هذه الحكاية:

أرسل لي الأستاذ عبد الكريم كنعان صورة لكومة
كبيرة من الفقوس الذي جمعه من مقاثاته، وعلق عليها
كاتباً أهل عنبتا جبروا الفقوسة، فرددت عليه بهذه
الأبيات:

هي المقثاة يا عبدالكريم
تذكرانا بتاريخ قديم
آدام الله نعمته عليكم
ودام الجني من هذا النعيم
عنبتا كانت الأولى بزرع
مقانها من النوع السليم
هو الفقوس جبرناه حقاً
فصار يباع بالشكل القويم
وهذا الفعل كان به نبوغ
أتى والله من شيخ حكيم
هو محمود شيخ ذو دهاء
مقالاته ذكاء في الصميم

توسيعة مسجد عنبتا

في عام ١٩٠٧ ميلادية تنادت فئة كريمة من رجالات عنبta ممن يغارون على بلدتهم، ويعملون على نهضتها ورقيها، ومن الذين يشعرون بلذة العبادة في بيت الله، ويحرصون على أداء الصلوات في أوقاتها مع الإمام، ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، من أجل توسيعة المسجد، فتشكلت لجنة برئاسة الشيخ محمود ومعه الحاج مصطفى القبج، والشيخ إسماعيل عبد الله، والشيخ محمد الحاج نصار، والشيخ محمد جاد الله، فهو مسجد عمري صغير جرى عليه عدة مراحل من التوسعات عبر التاريخ. ونجحت اللجنة في ذلك بعد أن نشطت بجمع التبرعات، فهب الأهالي من رجال وسيدات للتبرع. وأصبح المسجد يتسع لعدد كبير من المصلين.

وفد نظم الشيخ محمود أبياتاً من الشعر ما زالت
منقوشة بخط جميل فوق أحد أبواب المسجد
الداخلية، وستبقى خالدة مع خلود المسجد.

عنبـتا هـا قد قـام لـه مـسـجـد
بـأنوارـه حـقـا غـيـاهـها تـجـلـى
فـلا زـال مـعـمـورـا بـذـكـر إـلـهـا
مـصـانـاً وـآيـات الـقـرـان بـه تـتـلـى
هـنـيـئـا مـن يـأـتـيه فـي غـسـق الدـحـى
يـصـلـي بـه نـفـلـاً وـيـرـجـو رـضـى الـمـوـلـى
وـلـما اـنـتـشـا أـنـشـا مـوـرـخـه وـيـا
لـلـهـ ما اـغـلـى وـلـلـهـ ما أـحـلـى
وـمـن نـاحـيـة أـخـرى أـرـى أـن لـا بـدـ من أـن ذـكـرـ ما جـاء
فـي كـتـاب تـارـيخ جـبـل نـابـلـس وـالـبـلـقاء / الجـزـء الثـالـث /
مـؤـلـفـه إـحـسان النـمـرـ، وـفـي صـفـحة ٩٢ مـا يـلـي: بـتـبرـعـات
مـن أـهـالـي عنـبـتا، وـبـمـسـاـهـمـةـ المـجـلسـ الإـسـلـامـيـ الـأـعـلـىـ،

بنيت مئذنة لمسجد عنبنا عام ١٩٣٨، وأشرف على
بناء المئذنة لجنة مكونة من السادة: حافظ الشيخ
محمود، والشيخ محمد العورتاني، والمختار ذيب أبوريا،
والحاج مصطفى يوسف جاد الله.



الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني

ولد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٤٢ وتوفي عام ١٩١٨، وهو من جيل الشيخ محمود تقريباً، وقد حكم من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩٠٩، ويكون بذلك قد حكم ٣٣ عاماً. وقد كثرت المؤامرات الداخلية والخارجية على السلطان عبد الحميد مما أدى إلى الإطاحة به، فقد قرر البرلтан العثماني خلعه ونفيه إلى مدينة سلونيك في اليونان، وتولى أخيه محمد رشاد (محمد الخامس) الحكم من بعده، حيث حكم من

. ١٩١٨-١٩٠٩

وقد عاصر الشيخ محمود السلطان عبد الحميد في أوج السنين التي حكم فيها، واعتبر الشيخ محمود الإطاحة بالسلطان عبد الحميد هو بداية الإطاحة بالدولة العثمانية كلها. وبمناسبة خلع السلطان عبد الحميد والإطاحة به قال الشيخ محمود هذه القصيدة:

يا قصر يلدز^(١) أهل الملك قد كانوا
 بالأمس فيك وعنكاليوم قد بانوا
 وفي سلانيك^(٢) قد حطت رحائهم
 يحيط موكبهم جند لهم شان
 عباء الخلافة أعيادهم وأتعابهم
 وللحوادث أشكال وأنوان
 قد قرر الخلع نواب الورى علينا
 ووافقتهم على التقرير أعيان
 وجاء واسطة التبليغ^(٣) ينذرها
 قد صرت نسيا وما للعود إمكان
 فسلم الأمر واختار الرضى بأخ
 وفي الحقيقة كل الناس إخوان

(١) يلدز: قصر تركي عظيم اتخذه السلطان عبد الحميد مقراً له، ومعنى يلدز النجم

(٢) سلانيك: مدينة يونانية نفي إليها عبد الحميد

(٣) واسطة التبليغ: هم قواد الانقلاب ضد عبد الحميد (نيازي وأنور)، حيث دخلوا عليه وأبلغاه التنبية والإطاحة به.

فيما مكبا على الأموال تجمعها
أقصر عناك فذاك الريح خسران
فأين من ملك الدنيا بأجمعها
وأين أين ابن داود سليمان؟
وكان الشيخ محمود عندما نظم هذه القصيدة
استحضر قصيدة (أبو البقاء الرندي) في رثائه
للأندلس، فهي احتذاء تام لقصيدة الرندي في البحر
العروضي والوزن والقافية والروي والجرس الموسيقي
والمعاني والعواطف. وهذا يدل على ثقافة الشيخ
محمود العالية ومعرفته بالأداب السابقة، إلى جانب
هذا إنها وقفة تاريخية مهمة سجلت حدثاً مهماً في تاريخ
حكم الأتراك.

وهذه بعض أبيات قصيدة الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ
فلا يغرس بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سرّه زمن ساعته أزمانُ
وهذه الدار لا ثبقي على أحدٍ
ولا يدوم على حالٍ لها شانُ
أين الملوكُ ذوو التيجان من يمِنٍ
وأينَ منهم أكاليلٌ وتيجانُ
وأينَ قرطبةُ دارُ العلوم فكمْ
منْ عالمٍ قدسما فيها له شانُ
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
واليوم هم في بلاد البغي عُبدانُ
لمثل هذا يذوبُ القلب من كمدٍ
إنْ كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

الشيخ محمود و أفقه السياسي والوطني

كان الشيخ محمود لديه حماسة كبيرة للعروبة والإسلام، وكانت فلسطين هي القضية القومية التي كانت الشغل الشاغل للمشائخ في اجتماعاتهم وللشعراء في لقاءاتهم أواخر العصر التركي، فقد بدؤوا يستشعرون بالخطر القادم الذي يتمثل في أطماع الصهيونية في احتلال فلسطين، والاستيلاء عليها. ورغم اضطهاد الأتراك للعرب، ظل الشيخ محمود موقناً بأنهم أفضل ألف مرة من المكائد والمؤامرات والتهديدات التي تلوح بها بريطانيا ومعها الصهيونية لاحتلال فلسطين.

ولذلك كان مواليًّا للأتراك كل الموالة، مع أن له مأخذ كثيرة عليهم ومؤيدًّا للسلطان عبد الحميد (١٩١٨-١٨٤٢). وقد تزامن هذا مع ظهور الحركة الصهيونية التي هدفها إنشاء وطن قومي لليهود في

فلسطين، وأدرك السلطان عبد الحميد ذلك، فوقف بكل حزم ضد هذه الفكرة. وقام هيرتزل زعيم الحركة الصهيونية بزيارة اسطنبول عدة مرات لعرض مطلبه على السلطان عبد الحميد، مقابل مبالغ طائلة، ولكن السلطان عبد الحميد كرر رفضه بقوة، وقال قوله المشهورة: (إنني لن أسير في هذا الأمر، ولا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطوريه بإراقه دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف ندافع عنها بدمائنا ولا نسمح لأحد باغتصابها منا).

ولكن هيرتزل ظل ملحاً في طلب شراء فلسطين، فدفع مبالغ أكثر لعل السلطان يلين ويسمح ببيع فلسطين، فقدم خمسه ملايين ليرة ذهبية، ولكن السلطان عبد الحميد ظل ثابتاً على موقفه. إن هذا الموقف المشرف الذي وقفه السلطان عبد الحميد

والذي يسجل له بكل فخر مدى التاريخ جعل عدداً
كبيراً من سكان فلسطين وسائر الدول العربية ومن كل
المستويات أن يحترموا السلطان ويقدروا موقفه ويقفوا
مؤيدين له.

وكان الشيخ محمود على رأس المؤيدين للسلطان
خاصة، وللعهد العثماني عامة، وكان رأيه في هذا هو أن
العرب أكبر الخاسرين إذا سقطت الدولة التركية، لأن
العرب لا يملكون القوة الكافية لصد هجمات العدو
البريطاني والفرنسي من جهة، ولن يكونوا قادرين على
مجابهة الصهيونية من جهة أخرى، وإن استرداد حقنا
في فلسطين من الأتراك لكونهم مسلمين أسهل بكثير
من استرداده من المستعمرتين الأوروبيتين إذا احتلوا
بلادنا.

ولذلك عرف عن الشيخ محمود في خطبه في
المساجد وفي جلساته مع ذوي الرأي أنه كان ينذر

ويحذر من ضياع فلسطين، وبضياعها يضيع مجد العرب وعزّة العرب وكراهة العرب، وكان يكرر بأسلوبه الساخر: (أخشى من العرب أن يقسّموا الذي لم تقسمه سايكوس بيكتو، وإن الأيام القادمة ملأت بالضباب، وأرى القادر لا يبشر بالخير) ولو قام الشيخ من قبره، وعاد إلى الدنيا لوجد كل ما كان يتخوف منه ويحذر منه أصبح واقعاً.

وما اتفاقية سايكوس بيكتو ووعد بلفور إلا شاهدان على المؤامرة الكبيرة التي أدت إلى احتلال فلسطين وتهجير شعيرها، وما آلت إليه فلسطين منذ ذلك الوقت إلى الآن من ضياع ودمار وخراب لدليل صحيح على رأي الشيخ محمود وأمثاله العقلاة.

ومن هنا نرى أن الشيخ محمود كان على حق بتأييده للسلطان عبد الحميد، وهذا ينسجم انسجاماً تماماً مع قوله المفكر الإسلامي والناشط السياسي جمال

الدين الأفغاني في حق السلطان عبد الحميد: "إن السلطان عبد الحميد لوزن مع أربعة من نوابع رجال عصره لرجحهم ذكاءً ودهاءً وسياسةً ووطنيةً".

وهنالك عدد من قادة الحركة الأدبية والوطنية كان لهم شديد الولاء للدولة العثمانية وللسلطان عبد الحميد، وعلى رأسهم من مصر عبد الله فكري وعبد الله النديم ومصطفى كامل وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري ومصطفى الرافعي، ومن لبنان أحمد فارس الشدياق وشكيب ارسلان، ومن فلسطين موسى كاظم الحسيني.

انتخابات أعضاء المجلس التمهيدي الثاني

مجلس المبعوثان عام ١٩١٢

في ناحية عنبتا^(١)

تم تقسيم قضاء بني صعب إلى عشر نواح، فكانت قرية عنبta رأس ناحية تقع تحت رئاسة الحاج مصطفى أفندي القبج، والمفتش إسماعيل أفندي العبدالله، ويجتمع بها الناخبون من أهالي بلعا وكفررمان وشويكة، ومجموعهم (١٣٣٩) ناخبا يحق لهم أن ينتخبو ثلاثة أعضاء من أصل ثمانية عشر عضوا في كامل قضاء بني صعب ممن يحق لهم انتخاب أعضاء مجلس المبعوثان.

تم إجراء الانتخابات التمهيدية بتاريخ ٢٤ آذار عام ١٩١٢، وترشح لها اثنا عشر مرشحاً للمنافسة على

(١) عنبta في العصرين المملوكي والعثماني تأليف بهاء نصار

ثلاثة مقاعد، وكانت نتائج من حصلوا على الأكثريّة على
النحو التالي:

- الحاج مصطفى القبج (عنبرتا) ٦١٦ صوتاً
- الشيخ محمود عبد الحليم (عنبرتا) ٤٧٨ صوتاً
- الشيخ محمد الحاج نصار (عنبرتا) ٤١٩ صوتاً

وقد وردت هذه المعلومات أيضًا في كتاب
(الإنتخابات في فلسطين في أواخر العصر العثماني) من
تأليف د. عبد الرحمن سميح إبراهيم و د. محمود
سعيد الأشقر و د. زهير غنائم.

المضافة وتاريخها

تكرر ذكر المضافة في هذا الكتاب، وأجيال اليوم لا
تعرف شيئاً عنها، فرأيت أن ألقي الضوء على تاريخها.
مضافة عنبتا بيت تقليدي كبير وقد يقع في حارة دار
ملحم مقابل بيت المرحوم جميل الصوص. ولا أدرى
لماذا آل إلى اسرة المرحوم عبدالرحيم عبيد بعد أن
فقدت المضافة وظيفتها وأهميتها، هل اشتراوه؟ أم هو
أصلاً لهم؟ لم أجد من يجيبني عن هذه الأسئلة.

واسم المضافة يدل على الهدف من إقامتها، وهو
استقبال الضيوف الغرباء وإيواؤهم وتقديم الطعام
والشراب والشاي والقهوة لهم، لذلك كان في المضافة
فراش وأغطية وخدمات، ويشرف على كل هذا شاب
يقوم على رعايتها أحسن رعاية.

وُجدت المضافة في عبّتا قبل عام ١٨٥٠ ميلادي،
ولم يكن في عبّتا في ذلك الوقت مؤسسات عامة،
فاعتبرت المضافة هي المكان العام الذي يخص جميع
أبناء البلدة، ففيها يجتمع الرجال للتسلية وقضاء وقت
الفراغ، أو لمناقشة شؤونهم وحل نزاعاتهم، واتخاذ
القرارات، واستعراض المواسم الزراعية، وكانت تستغل
لإقامة المناسبات الاجتماعية كالخطوبة والزواج
وبيوت العزاء.

واتخذت المضافة مكاناً لتعليم الكتاب لسنوات
طويلة إلى أن افتتحت أول مدرسة ابتدائية عام ١٩٢١
حيث توقف تعليم الكتاتيب، وفي فترة زمنية قامت
المضافة بدور المدرسة، فقد ذكر والدي رحمة الله (من
مواليد ١٩١٠) أنه درس الصف الأول في المسجد
القديم، ودرس الصف الثاني والثالث في المضافة،
ودرس الصف الرابع في المدرسة الحكومية التي أقيمت

عام ١٩٢١ في بداية افتتاحها، وهكذا توقف التعليم في المسجد والمضاافة. كما استغلت المضاافة في وقت مضى ليكون فيها أول مجلس محلي في عنبتا عام ١٩٢٢ بريئاسة المرحوم يوسف مصطفى القبع ولمدة سنتين. ثم انتقل المجلس المحلي إلى دار المرحوم يوسف جابر عدس بريئاسة المرحوم فريد الحمد الله ولمدة سنتين، ثم ترأس المجلس المرحوم محمد موسى حجاز من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٦.

وفي بداية عام ١٩٣٤ تأسس أول ناد في عنبتا أطلق عليه اسم نادي عنبتا الرياضي، واتخذ من المضاافة مقرا له، وكان من أوائل النوادي التي تقام في القرى الفلسطينية، وقد تشكل النادي من الأعضاء رفيق الحمد الله سكرييرا، راتب الشامي أميناً للصندوق (من طولكرم وكان في ذلك الوقت مديرًا للمدرسة)، حيدر سعيد محاسباً، وراسم كمال عضواً، شريف القبع

عضوأً، موسى الحاج قاسم عضواً، أمين عورتاني عضواً. وقد مارس الشباب نشاطات رياضية وثقافية، في المجال الرياضي كان الشباب يمارسون لعبة كرة القدم على البيادر، ومن هؤلاء الرياضيين: طاهر عبد الكريم بركات، موسى الحاج قاسم، عبدالكريم الطوس، أحمد نصار بركات، عبد الكريم نمر بركات، إبراهيم بكر مزيد، عبدالرحيم حنون، حسين عبدالله حجاز، عبدالرحيم أبو العون، عبدالرحيم مرعي، عبدالرحم محمود (أصغرهم سنًا).

وفي المجال الثقافي كان في النادي مكتبة جيدة، تدل على المستوى الثقافي الذي يتمتع به ذلك الجيل، ومارس أعضاء النادي وكل من زار النادي هواية القراءة عن طريق استعارة الكتب، إلى جانب إلقاء المحاضرات الثقافية والندوات الأدبية التي يشرف عليها المتعلمون والمثقفون، ويحضرها شباب ورجال من مختلف

الأعمار. وقد نشرت جريدة اللواء الفلسطينية بتاريخ ١٩٣٦-١-٣ خبراً يؤكد نشاط نادي عنبتا الرياضي عام ١٩٣٦. وقد ظهر في هذا الخبر أسماء أربعة أعلام من أعلام عنبta رحمهم الله جميعاً وهم: رفيق الحمد الله وفارس حسين سبوبيه وأحمد عبد القادر حامد والشاعر عبد الرحيم محمود، أما الخبر كما جاء في الجريدة فهو بعنوان:

محاضرات قيمة في النادي الرياضي في عنبta

دعت هيئة النادي الرياضي في عنبta وجوه وأعيان ومشايخ وشباب البلدة لسماع محاضرات قيمة دينية واجتماعية يوم الأربعاء في النادي الرياضي من قبل المعلمين في البلدة، وقد لبى الدعوة جميع من دُعي، وافتتح الحفلة السيد رفيق الحمد الله سكرتير النادي بكلمة شكر، ثم قام الاستاذ فارس أفندي حسين سبوبيه وألقى محاضرة قيمة موضوعها الصحة العامة،

وبعه الاستاذ أحمد أفندي الحامد بمحاضرة موضوعها التعاون، فالاستاذ عبد الرحيم أفندي محمود بمحاضرة قيمة موضوعها الزكاة. وقد قوبلت هذه المحاضرات بإعجاب كبير، وبعد الانتهاء اقترح سكرتير النادي والمحاضرون المذكورون أن يتبرع الحاضرون بزكاة صيامهم لترسل باسم النادي الرياضي لعائلات الشهداء الأبرار، فبارك الله برجالنا العاملين، واكثر الله من أمثالهم.

جريدة اللواء ١٩٣٦/١/٣

وهكذا تكررت المحاضرات والمحفلات والاجتماعات التي تهدف إلى تعزيز الروح الاجتماعية بين الناس، ودفع الروح الوطنية إلى الأمام، وتوعية المواطنين بما يجري على ساحة الوطن. وقد لعب الشاعر عبد الرحيم محمود دوراً إيجابياً، فكان يدعو أصدقاءه الشعراء من

خارج عنبنا لإلقاء قصائدهم في النادي بحضور جمع
كبير من الأهالي.

وعندما ساءت الأحوال في فلسطين بعد إضراب
عام ١٩٣٦ أغلق النادي أبوابه، وتوقف نشاطه، وقام
المسؤولون بتقديم مافيه من كتب إلى مكتبة مدرسة
عنينا، ولا تزال الكتب موجودة حتى الآن، وعليها ختم
النادي الرياضي في عنبنا باللغة العربية والإنجليزية.

وهكذا ظل للمضافة شأن كبير حتى نهاية
الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي مطلع الأربعينيات بدأ
ظهور المقاهي حيث افتتحت خمسة مقاه، وأغلقت
المضافة أبوابها.



السفر برلوك والحرب العالمية الأولى

السفر برلوك كلمة تركية معناها إجبار الناس على السفر لغرض التهيؤ للحرب، وهو ما نسميه اليوم بإعلان النفير العام أو التجنيد الإجباري، وهذا النفير العام هو قرار أصدره السلطان العثماني محمد رشاد في شهر آب عام ١٩١٤ بمناسبة نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٨-١٩١٤)، ويدعو القرار إلى تجنيد الرجال الذين بلغت أعمارهم من ٦٠-١٨ سنة من رعايا الدولة العثمانية والتحاقهم بالخدمة العسكرية. دخل العثمانيون الحرب ومعهم ألمانيا والنمسة وال مجر ضد الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا وبلجيكا واليابان، وشاركت عنبتا في السفر برلوك، فقد جاءت قوّة من الجيش العثماني إلى عنبتا، وطلبووا مقابلة لجنة من زعماء البلدة، فكانت اللجنة من الشيخ محمود عبد

الحليم وأحمد الحمد الله ومحمد الحاج نصار
والمحتارين سعيد عبدالله عمر وجابر العموري، وقام
ضابط القوه بتبلیغ اللجنة أنّ على كل الرجال ما بين
١٨ و ٦٠ سنة أن يستعدوا للسفر من أجل المشاركة في
الحرب، فتكلم الشيخ محمود باسم اللجنة مع الضابط
المؤول، وأقنعه بأن عبّتا بلد مسالم، وكل أهاليها
معكم ويؤيدونكم، فلا داعي لمن عمره فوق الخمسين
أن يشارك في الحرب، واكتفوا بمن هم دون الخمسين.
اقتنع الضابط ووافق، وقد تجمع الرجال المكلفوون على
البيادر تحت حراسة الجنود الأترالك، ثم ساقوا الرجال
إلى جهات مجھولة، عُرفت فيما بعد: إلى قناه السويس
وإلى دول أوروبية ودول عربية، على أثر هذا خلت عبّتا
كسائر المدن والقرى من الشباب ولم يبق فيها إلا كبار
السن والنساء والأطفال، فتعطلت الحياة وقلت الأيدي
العاملة، وقامت النساء بالأعمال الزراعية، وقلّت المواد
الغذائية، وارتفعت الأسعار، وضاق عيش الناس.

حزن الناس وتأملوا على ذهاب الشباب إلى الحرب،
وفقدوا الأمل في عودتهم، فكانوا يرددون إن الذاهب إلى
هذه الحرب مفقود والعائد منها مولود. ولم تقف الأمور
إلى هذا الحد، فقد وضع الأتراك يدهم على كل أصناف
التمويل الغذائي من سكر وأرز وطحين وخضار وفواكه
ولحوم وكاز لتكون في صالح الجيش التركي، فانقطع
الكاز، وصار الناس يضيئون المصابيح بالسيرج وزيت
الزيتون، ولجأوا إلى أكل خبز الشعير والذرة وقشر
البرتقال وقشر البطيخ، وقد شاءت الأقدار أن تتعرض
فلسطين لمصيبة أخرى. ففي شهر آذار عام ١٩١٥ غزا
الجراد فلسطين، واستمر في غزوه سبعة أشهر، فقد
كان الجراد يأتي في موجات متتابعة، مما تسبب في
هلاك جميع المحاصيل النباتية، وقد أطلق
الفلسطينيون على هذا العام سنة الجراد، وأصبح هذا
الاسم يُردد في الذاكرة الفلسطينية الشعبية، وقد عانى
الفلسطينيون عناءً كبيراً من ذلك العام بسبب

خسارتهم مصادر رزقهم وعيشهم، وهذا ساهم في ارتفاع الأسعار، مما جعل الناس يعيشون في تقشف شديد في ظل هذا الفقر القاسي، إلى جانب الخوف والذعر والفزع والهم بسبب الحرب أولاً، وبسبب انتشار الجراد ثانياً، وجاء ثالثاً وقوع عدة أمراض وتفشي الأوبئة وخاصة الكولييرا عام ١٩١٦، وقد راح ضحية الكولييرا عدد كبير من الناس.

في هذه الأجواء لعب الشيخ محمود دوراً إرشادياً في خطب الجمعة، أو بإعطاء درس ديني بعد الصلوات أو في المجالس العامة، فقد كان يحث الناس على التعاون والصبر والاقتصاد، وحسن الإدارة والتدبير المتنزلي من أجل أن يتغلبوا على الفقر الذي فرضته ظروف الحرب، وانتشار الجراد وتفشي الكولييرا. وكان يحثهم على الإيمان واحتساب أمواتهم عند الله، فمنهم من مات في الحرب، ومنهم من مات بالكولييرا.

كان الأهالي يصغون لما ي قوله الشيخ محمود،
ويعتبرونه الكلام الشافي والمعقول، ويثقون به كل
الثقة، لأنهم يعتبرونه الرجل المتنور، والعارف والمدرك
لكل أمور الحياة. وقد اعتادوا على استشارته في كل
أمور حياتهم، فيجدون عنده الجواب الصائب والحل
المرجو والمأمول. وكم كانت تطلق على ألسنتهم عبارة:
قال الشيخ محمود ... قال الشيخ محمود ... فمقدمة
الشيخ محمود صحيحة وصادقة وموثوقة بها. وفي
حياتهم اليومية كانت تعترضهم أمور تحتاج إلى حل،
فيقول الرجال وتقول النساء: اسألوا الشيخ محمود ...
اسألوا الشيخ محمود ... اسألوا العالم

دهاء الشيخ محمود

في عام ١٩١٥ عينت الحكومة التركية جمال باشا السفاح، حاكماً على بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن)، وأصبح الحاكم المطلق، وتعامل بقسوة شديدة مع رجال البلاد الوطنيين والمثقفين، وأعدم عدداً منهم.

وعلى إثر هذا حصل في منطقة نابلس ثورة وتمرد على سياسته، فأرسل قائداً من قواطه إلى منطقة نابلس، فاتبع أسلوباً قاسياً في التعامل مع أهل القرى والمدن التي مر بها. وحدث أن مرّ بعنبتا واتخذها مركزاً لجنوده، وصادف أن أحد الشباب من أهالي البلدة قام بسرقة (صاقو) بمعنى بالطريق من أحد الجنود المقيمين في البلدة، فرفع شكوى للقائد ضد أهالي عنبتا. فأمر القائد بجمع رجالها على البيادر، فقام الشيخ محمود بإلقاء قصيدة أمام القائد التركي مما جعله يغفو عنهم.

وبذلك يكون الشيخ محمود بدهائه ولباقيه قد خلص
أهالي بلدته من عقوبة قاسية. أما القصيدة فلم نعرف
منها إلا هذه الأبيات:

أهلًا بمن شرفوا كي ينصروا الديننا
ويقهرروا فئة حلت فلسطينا
تشريفكم أكسب الأوطان بهجتها
ومكن الأمان في البلدان تمكينا
كم البلاد بكم طابت وكم سعدت
فواحد منكم يكفي ثمانيننا

تعليم أبنائه

إن الشيخ محمود الذي تخرج في الأزهر الشريف ذاق طعم العلم وأدرك أهميته، ولذا حرص على أن يكون أبناءه متعلمين بقدر ما يتاح لهم في تلك الظروف القاسية، فأرسل أبناءه عارف وتوفيق ورفيق في فترات زمنية متلاحقة إلى المدرسة الدينية التابعة لمسجد البيك في مدينة نابلس، ليدرس كل منهم ثلاث سنوات يتخرج فيها حاملاً لقب الشيخ، وممنوحًا شهادة تؤهله للإمامية والخطابة والمأذونية والوعظ والإرشاد. وقد نجح المشايخ الثلاثة في أداء واجباتهم عندما عملوا أئمة وخطباء في المساجد التي التحقوا بها.

كما أرسل ابنه حمزة إلى الشام ليعود حاملاً شهادة في القضاء، وعمل في المرافعات القضائية، وبعض السنوات عمل في التعليم.

وأرسل ابنه حافظ إلى الجامع الأزهر، ولكن حافظ درس سنة واحدة، ولم يعد بسبب مرض والده، فقد أثر أن يكون بجانب والده في ظروف مرضه. أما أبناؤه الصغار، فإن الله لم يكتب له مزيداً من عمر ليり مستقبليهم، فقد توفي عام ١٩١٩، وكان كامل في الرابعة عشرة من عمره، وعبد الحليم (الثالث) في الثانية عشرة من عمره، وعبدالكريم في التاسعة من عمره، وعبد الرحيم في السادسة من عمره، ونجيب في الثالثة من عمره. إلا أنهم شقوا طريقهم معتمدين على أنفسهم بعد أن أنهوا تعليمهم في المدارس، فعمل كامل وعبد الحليم وعبد الكريم ونجيب بوظائف محترمة في دائرة البرق والبريد والهاتف إبان حكومة الانتداب البريطاني.

وأما عبد الرحيم فقد عمل معلماً لغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بعد أن تخرج فيها، وذلك لتميزه في الشعر وللغة.

واللافت أن جميع أبناء الشيخ محمود كان لهم
احترام في المجتمع وكان لهم حضور في كل مجالات
الحياة، فحازوا على محبة الناس وتقديرهم والأخذ
بآرائهم.

سنواته الأخيرة

في أواخر عام ١٩١٥ استدعى ابنه الشيخ عارف^(١)،
وطلب منه أن يتولى الإمامة والخطابة في المسجد بدلًا
منه، قائلاً له: يا بني، إني أشعر أنني أعيش على هامش
الحياة بعد أن تجاوزت الثمانين من عمري، ولم يبق
لدي طاقة لتحمل مسؤولية الإمامة والخطابة، وأنا أثق
بك كل الثقة، ولديك القدرة العلمية والأدبية واللغوية
التي تؤهلك لهذا العمل.

انصاع الشيخ عارف لكلام أبيه، فوافق داعيًا
لوالده بالصحة والعافية، وهكذا أعفى الشيخ محمود
نفسه من مسؤولية الخطابة والإمامية في مسجد عنبta،
إلا أنه ظل مواطبياً على الصلاة في المسجد، وظل بيته
مفتوحًا للضيوف، يستقبلهم بكل حفاوة وترحيب. في

(١) حديث في جلسة مع عي الشیخ رفیق عام ١٩٦٦

سنة ١٩١٦ توفي ابنه الشاب حمزة العزيز على قلبه والقريب إلى روحه، وهو في التاسعة والعشرين من عمره، وعندما جاءه نبأ وفاته قال: الحمد لله على السراء والضراء، إنا لله وإنا إليه راجعون، وأرجو من الله أن يلهمني الصبر على فراقه، وسقطت من عينه دمعة مسحها في صمت واجم وحزن كظيم، واعتبرته بعد ذلك أمراض وضعف عام.

لقد عرف عن سنة ١٩١٩ أنها سنة شديدة البرودة، وغزيرة الأمطار، وتساقطت الثلوج، وزاد ارتفاعها عن متر، وانتشرت الأمراض الصدرية بين الناس، وكثرت الوفيات، ورغم كل هذه الظروف القاسيه ظل الشيخ محمود مواظباً على صلاته في المسجد، وبينما كان متوجهاً لصلاة الفجر في يوم من أيام شهر شباط من عام ١٩١٩ زلت قدمه أمام دكان الحاج حمد شهاب بسبب وحولة الطريق،

فوق وانكسر حوضه، وظل مستلقياً على ظهره،
ممنوعاً من الحركة لمدة شهرين، فساقت حالته
الصحية، إلى أن وافته المنية في يوم الجمعة بتاريخ
١٣٣٧/٤/١٩١٩ الموافق الثالث من رجب عام
هجرية، عن أربعة وثمانين عاماً، وصُلِّيَ عليه في المسجد
الذي أمضى حياته فيه مصلياً وإماماً وخطيباً. وقد
كانت جنازته مأتماً عنباوياً مميزاً، شارك فيها أهالي
عنبا وأهالي القرى المجاورة، وعدد من الأصدقاء
والمعارف ومقدري فضله. ودُفن في المقبرة الشماليه
طريق كفررمان، وقد أبَّنه على المقبرة كل من السيد
أحمد الحمد الله والشيخ محمد أسعد عورتاني،
والشيخ عبد الغني اللبدي (كفراللبدي) والشيخ
عبدالقادر التفال (ذنابة).^(١)

(١) معلومه من عمي الشيخ رفيق عام ١٩٦٦

وقد حدث الشيخ عبدالله حنون قائلاً: بعد أن
مضى على عودتي متخرجاً من الجامع الأزهر ثلاثة أيام،
وإذ بنباً وفاة الشيخ محمود يعم جميع الأوساط. وفي
بيت عزائه في المضافة، سلم الناس علي، وقالوا:
(الحمد لله عنبنا محظوظة، فقد عوضنا الله فقد راح
شيخ وجاء شيخ).

أبناء الشيخ محمود

آمنة ١٨٦٢ تزوجت موسى صالح العبسة عبد الله ١٨٦٤ مات طفلاً صغيراً	الزوجة الأولى: فاطمة العماوي - بلعا ١٨٦١
عارف ١٩٤٤-١٨٧٠ تزوج زينب البليسي خيزران ١٨٧٤	الزوجة الثانية: حمدة حسين علي عبد الصمد لقبها (حمامة) لجمالها عنبتا ١٨٦٩
حمزة ١٩١٦-١٨٨٧ محمد مات طفلاً صغيراً	الزوجة الثالثة: شفيقة البليسي - عنبتا ١٨٨٦
جميلة ١٩٧٧-١٨٩١ توفيق ١٩٦٨-١٨٩٢ رشيقه ١٩٨٠-١٨٩٤ رفيق ١٩٦٩-١٨٩٨ امينة ماتت مخطوبة لعبد الرحيم الشيخ عبد بديلة حليمة زوجة الشيخ رفيق	الزوجة الرابعة: علياء علي حسن العدس - عنبتا ١٨٩٠

حافظ	١٩٤٦-١٩٠٠	-	الزوجة الخامسة:
صديقة	١٩٣٦-١٩٠٣	-	كاملة الحاج نصار -
كامل	١٩٧٨-١٩٠٥	-	عنبتا ١٨٩٨
عبدالحليم	١٩٧٣-١٩٠٧	-	
عبد الكريم	١٩٨٥-١٩١٠	-	
عبد الرحيم	١٩٤٨-١٩١٣	-	
كريمة	١٩٨٨-١٩١٤	-	
نجيب	١٩٨٠-١٩١٦	-	

لماذا اندثرت آثار الشيخ محمود؟

إن الباحث عن سيرة الشيخ محمود سيفجد القليل من آثاره بين أيدينا، والتي لا تتناسب مع منزلته الدينية والأدبية والاجتماعية التي اشتهر بها.

إذن أين ذهبت آثار هذا الشيخ، ولماذا اندثرت؟
الجواب عن هذا: تقع مسؤولية اندثار آثار الشيخ محمود على ابنه عارف أكبر أبنائه، فهو من مواليد عام ١٨٧٠، وعاصر والده وواكبه في كل مراحل العمر إلى أن توفي الله عاصراً عام ١٩١٩.

قلت لوالدي ذات يوم: لقد كان جدي رجل دين وعلم، وكان إماماً وخطيباً وشاعراً وقاضياً وابن الأزهر الشريف، فأين تراثه وأين كتبه وأين قصائده؟ ابتسם والدي وهو يهز رأسه وقال: لا أملك جواباً عن هذا السؤال، فقد كنت في التاسعة من عمري عندما توفي

والدي، ولم أكن أدرك أهمية هذه الأمور، ولعل تراث والدي آل إلى أخي عارف الذي هو أكبر أخوتي، ويكتبني بأربعين عاماً، وقد أصبح شيخاً، وسار على طريق والدي كمام وخطيب.

قلت لوالدي: لقد دفن جدي مرتين: الأولى يوم أن غيبه الموت، والثانية يوم أن فقد تراثه، ابتسم والدي وقال: هو كذلك.

وفي نفس الوقت أجد عذراً لابنه عارف، فقد عاش أيامًا ثقلاً كبقية الناس يوم أن ألقت تركيا بظلالها السوداء في زمن عم فيه الفقر والجهل، وانتقل الناس من وضع سيء إلى وضع أسوأ، بقيام الحرب العالمية الأولى وما تبعها من مؤامرات الاستعمار الأوروبي والصهيونية على فلسطين، ابتداء من اتفاقية سايكس بيكيو ومروراً ب وعد بلفور وسقوط الدولة العثمانية، وما تلاها من أوضاع غير مستقرة، ثم وقوع الحرب العالمية

الثانية، وقد انعكس هذا على الأوضاع الاقتصادية الصعبة، فعاش الناس في فقر شديد، وكان لهم الأكبر لكل مواطن أن يدبر قوت عيشه، وهذا جعل الشيخ عارف واحمته لا يولون اهتماماً لتراث والدهم، لأن هناك أشياء كثيرة أولى وأحق من الاهتمام بالتراث.

ولعل هناك أسباباً أخرى في ضياع تراثه وهي: لقد كان الاعتماد على الذاكرة في حفظ المعلومات، ولم يكن للتدوين أي اهتمام، لأن الناس أميون، ولذلك ظلت المعلومات مخزنة في الصدور لا في السطور، وتناقلتها الأجيال اعتماداً على المشافهة، وبهذه الطريقة يكون قد ضاع منها الكثير.

كما أن موت الأقرباء والأصدقاء والمعارف كان سبباً، فبموتهم ضاع كثير من المعلومات والأخبار والأحداث التي كانوا يعرفونها، والذي حصل لتراث

الشيخ محمود حصل لعدد كبير من أمثاله الشيوخ
والأعلام في مختلف الميادين.

بيت الشيخ محمود

ولد الشيخ محمود وتربى ونشأ في بيته الكائن في
الحارة التحتا، وهي حارة صغيرة من حارات عنبتا ذات
المباني المتلاصقة على الطراز القديم، وللوصول إلى بيته
يجب أن يسار في ممر ضيق، إذا مدّ الرجل ذراعيه
جانباً لامست ذراعاه الجدار عن اليمين والجدار عن
اليسار.

بيت الشيخ محمود بيت قديم عمره أكثر من مئتي
عام، مبني من الحجر والطين، ذو جدران عريضة تحمي
من حر الصيف وبرد الشتاء، وسقفه على شكل قوس،
إنه بيت يزهو بحجاته القديمة التي أنهكتها السنوات،
إلا أنه ما زال محافظاً على شموخه.

بيت الشيخ محمود معلم من معالم عنبتا، بيت
بسيط متواضع، ليس مجرد جدران وأرضيات وأبواب

وشبابيك بل بيت كان مصنعاً للرجال، فمنه بزغ نجم
رجال يُشار لهم بالبنان، والحديث عن هذا البيت هو
 الحديث عن الأصالة وال伊拉克ة، حديث يحمل عبق
 الذكريات بحلوها ومرها، بيت أنار عتمة عنبta، وامتلك
 أصحابه ناصية البيان، وأمسكوا بزمام الدين، فمنه
 انطلق صوت الشعر، وفيه ترسخت قواعد الدين، إنه
 بيت يمثل الموروث الديني والثقافي والتاريخي والتراثي
 والوطني.

أحب الشيخ محمود بيته، ورأى سعادته بهدا
 البيت الذي رياه فيه والده الشيخ عبد الحليم الثاني،
 كما هو ربّي ونشأ فيه أبناءه البررة الذين أصبحوا من
 صفوة رجال عنبta.

بيت الشيخ محمود مستودع للذكريات ومليء
 بالحكايات، وكم كان يضج بضحكات الكبار والصغراء،
 هو بيت كبير بالنسبة لبيوت ذلك الزمان، فهو يتألف

من طابقين، الداخل إلى الطابق الأول يجد غرفة أشبه بحوش صغير، ثم يدخل إلى غرفة واسعة مفروشة جوانها بفرشات أرضية، تتناثر عليها المسائد والوسائل، وفي أحد الجدران نافذة عريضة تتكدس عليها مجموعة من الكتب الدينية والادبية والمصاحف الشريفة. يتوسط الغرفة شتاءً كانون النار النحاسي، وحوله صينية اصطفت عليها كاسات الشاي وفناجين القهوة، وفي زاوية من زوايا الغرفة يتربع زير الماء شامخاً.

ويتكرر سؤال الشيخ محمود مداعباً ضيوفه: لماذا سمي الزير زيراً؟ فلا أحد يجيب، فيقول لهم: سُمِّي الزير زيراً لكثره الزائرين له طلباً للماء.

يدخل الضيف إلى الغرفة، فيخلع حذاءه، ويضعه جانباً، ثم يأخذ مكانه على الأرض، وأينما يجلس يشعر بدفء المكان ونظافته وطيبة أصحابه.

هنا يستقبل الشيخ محمود ضيوفه- وما أكثرهم من عبنينا وخارجها- بوجه بشوش، وبكل وفاء وتواضع، يسلّم بحرارة ويرحب بسرور، وبلا تكّلف ولا نفاق، ولا تخلو جلساته من نكات بارعة وضحكات عالية، وبهذه المزايا يجبر الآخرين على محبته واحترامه.

هنا يرحب الشيخ محمود بصديقه الشيخ إبراهيم السمارة^(١) من أعيان مدينة طولكرم، القادر على حماره في يوم اشتد حرها، فيدخل البيت وهو يتصرف عرقاً، فيفاجأ ببرودة الجو داخل البيت، فيرتاح، ويقول للشيخ: ما أبред جو هذه الغرفة!، فيرد عليه الشيخ محمود: إن جو الغرفة حار، ولكنني دعوت الله وقلت: (يا دار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم)، فاستجاب الله لدعائى، وهنا يضحك إبراهيم من أعماق قلبه قائلاً للشيخ محمود: دمت لنا ياشيخ لتظل

(١) من أعيان قضاء بنى صعب الذين اختيروا لإدارة شؤون المنطقة مع الشيخ محمود

تُسعدنا بنوادرك وطرائفك وخفة دمك وسرعة
خاطرك.

أما الغرف الأخرى فهي في الطابق العلوي، يُصعد
إليها بدرج داخلي يُفضي إلى ساحة سماوية، هذه
الساحة هي روح البيت، وهي المتنفس في أيام الصيف
لكل أفراد الأسرة الذين يجتمعون في سهراتهم
وتعاليلهم. وتحيط بهذه الساحة غرف أهمها الغرفة
العزيزة الغالية على قلب الشيخ محمود ... غرفة فيها
محراب، يقوم الشيخ بأداء صلواته النوافل فيها.

بيت الشيخ محمود ملئ بالخوابي: خوابي المؤونة
من جهة وهو ليس مسؤولاً عنها، وخوابي العلم من جهة
أخرى وهي التي تخصه، من مصاحف وكتب دينية
وأدبية ودفاتر وأوراق تتكدس في كل مكان، فيرعاها
ويفهتم بها.

وتمضي الأيام والأعوام، وينتقل الشيخ إلى جوار ربه عام ١٩١٩ ميلادي، ولكن الحياة تستمر بعده ولا تتوقف، وباستمرارها رعى الإخوة الكبار إخوتهم الصغار، وكبر الصغار، وشمروا عن سواعدهم، واستقبلوا الحياة العملية فنجحوا أيمًا نجاح، واستطاع كل واحد من الأبناء أن يستقل في بيت جديد بناه بجهده وعرق جبينه. وكانت هذه نقطة تحول كبيرة في حياة أبناء الشيخ، إذ أسلدوا الستار عن فصل من فصول حياتهم، وفتحوا صفحة جديدة لفصل جديد عندما انتقلوا إلى بيوتهم المستقلة.

أما بيت والدهم القديم فقد اتفقوا جميعاً على بيعه عام ١٩٣٦ لجار لهم من آل أبو هذبة، وهنا بدأت رحلة البيت مع الاغتراب، فأصحابه الأصليون باعوه وغادروا إلى بيوتهم الجديدة، وأصحابه الجدد تركوه وغادروا إلى عمان، وظل البيت مهجوراً من عام ١٩٤٦

إلى عام ٢٠٠٥ ، وقامت بلدية عنبا^(١) بشراء البيت
لتتخرّده مركزاً ثقافياً يحمل اسم مركز عبد الرحيم
محمود الثقافي.



(١) حصل هذا في زمن رئيس البلدية حمد الله حمد الله

مركز عبدالرحيم محمود الثقافي

كانت لفتة كريمة تدل على تفكير صائب من بلدية عنبتا تسجل لها بسطور من نور وفخر واعتذار، حينما وضعت يدها على بيت الشيخ محمود عبدالحليم والد الشاعر عبد الرحيم محمود، وذلك بشرائه من أصحابه الجدد بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٥، لتجعل منه معلماً مهماً من معالم عنبta يحمل اسم (مركز عبدالرحيم محمود الثقافي).

واختيار البلدية لهذا البيت له دلالة رمزية ومعنوية، وهو نوع من الوفاء لشاعر حمل روحه على راحته وألقى بها في مهاوي الردى. لقد قامت البلدية بترميم البيت على حساب صندوق تطوير وإقراض الهيئات المحلية بدعم الحكومة البلجيكية بالتعاون مع وزارة الحكم المحلي. وأنشاء أعمال الترميم ساقني الشوق ودفعني حب الاستطلاع، فمشت بي قدماي لزيارة المكان، فأنا أشعر أن بيتي وبين هذا المكان ارتباطاً روحياً

عميقاً، وها أنا اليوم أحظى بزيارتة بعد أن أخذ العمر
مني حقه، وبعد أن هربت الأيام مني، وما أن اقتربت من
البوابة وحدّقت فيها شعرت بأنها تعجب على الذين
راحوا وتركوها مغلقة. لقد انتابتني مشاعر مختلطة من
الرهبة والذهول والخشوع والتأمل. هنا أطلت الوقوف
على البوابة وتذكرت قول أمير الشعراء أحمد شوقي
حينما زار دمشق عام ١٩٢٥، وقال قصيده المشهورة
التي منها هذا البيت:

مررت بالمسجد المحزون أسأله

هل في المصلى أو المحراب مروان

وأنا قلت:

مررت بالمنزل المهجور أسأله

هل في الحضور وبين الناس محمود

ثم تذكرت قول شاعر آخر:

يا طارق الباب رفقا حين تطرقه

فإنه لم يعد في الدار أصحاب

تفرقوا في دروب الأرض وانتشروا

كأنه لم يكن أهل وأحباب

وتذكرت أيضاً:

يا طارق الباب رفقاً حين تطرقه

لا ترج ردأً فأهل الدار قد راحوا

ولترحم الدار لا توقظ مواجهها

للدور روح كما للناس أرواح

وقلت ايضاً: إن شعراء الجاهلية كانوا على حق كبير في
بكائهم على الأطلال عندما كانت مطالع قصائدهم
(قفنا نبك).

بعد هذا الوقوف همت بالدخول، والتقيت
بالعاملين الفنيين، واطلعت على أساليب الترميم، ثم
قمت بجولة في جميع مراافق البيت. كل شيء كان
يسترعي إنتباхи، تأملت وتمعنت وتفحصت كل ما
وقدت عليه عيناي، وقلت: هنا ولدوا، هنا ناموا، هنا
أكلوا، هنا شربوا، هنا قرأوا، هنا كتبوا، هنا صعدوا،
هنا نزلوا، هنا فرحوا، هنا حزنوا، هنا ضحكوا، هنا
غضبوا، هنا لعبوا، هنا صلوا، هنا صاموا. وكلما
خطوت خطوة إلى الأمام قلت: رحم الله أحباء كانوا هنا،
وما زالت أنفاسهم تداعب جدران هذه الدار، وما زال
صدى أصواتهم يروح ويجيء ويرفض الغياب.

وصلت إلى سطح الدار فوجده ملعاً للحمام
فقلت: هنيئاً لك أيماء الحمام فأنت الذي تستحق أن
تكون سيد المكان. جزني الفضول إلى سلم يؤدي
الصعود عليه إلى طاقة مرتفعة في إحدى الغرف، ويا
للهول مما رأيت! رأيت كومة من الأوراق التي عفا عليها
الزمن، فأحضرت كرتونة ووضعت فيها كل هذه
الأوراق، وأتيت بها إلى منزلي. كانت الأوراق بالية،
والخطوط تقاد لا تقرأ، ولكنني قرأت القليل منها، لقد
كانت كلها تحكي عن أمور دينية من آيات كريمة
وأحاديث شريفة وشروحات وفتاوي وتفاسير
ومصاحف بالية. وفوجئت بوجود أعداد من مجلة
(المقطف)، كان اسم المجلة مقروءاً لأن الغلاف من
ورق أسمك من الورق الداخلي. سرحت بذهني إلى
البعيد وقلت: إن مجلة المقطف صدرت عام ١٨٧٦
وظلت تصدر إلى عام ١٩٤١، وهي مجلة تمثل صوت
الثقافة وخزانة العلوم والآداب، وكانت أرقى مجلة

عربية في تنوع مادتها ورصانة أبحاثها، وصاحبها يعقوب صروف العالم اللغوي، والأديب اللبناني الذي أصدرها في لبنان لمدة تسع سنوات، ثم انتقل بها إلى القاهرة.

بقي السؤال: هل هذه المجلة من مقتنيات الشيخ محمود أم من مقتنيات ابنه الشاعر عبد الرحيم؟ إن قراءة أرقام الأعداد وسنة الإصدار صعبة جدًا، فهي التي تساعدننا على الإجابة عن السؤال ولكنها ممحوّة، وكلما أمسكت بورقة سرعان ما تحول إلى رماد وفتات، على أي حال يكفي أن أقول: إن وجود هذه المجلة بأعدادها الكثيرة، تدل دلالة واضحة على أن أصحاب هذا البيت هم من أهل الأدب والعلم والثقافة، سواءً أكانت من مقتنيات الشيخ محمود أو من مقتنيات ابنه عبد الرحيم. وبعد أن انتهى العمل في مشروع ترميم بيت الشيخ محمود، واصبح على جانب كبير من التحديث والتتجديد من الداخل والخارج، وبدت عليه

لمسات الجمال بما يسر الناظرين من إضاءته بالكهرباء
وإمداده بالماء وتركيب أبواب وشبابيك جديدة وتوفير
الأثاث الجميل من خزائن ومقاعد وطاولات، قامت
بلدية عنبتا بالاستعدادات التامة لافتتاح المشروع
ومعه مشاريع أخرى، فدعت رئيس الوزراء الفلسطيني
محمد اشتية ومعه جمع من الوزراء ومحافظ طولكرم
لافتتاح هذه المشاريع بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠١٩،
بحضور عدد كبير من الضيوف وأهالي عنبta، وذلك في
احتفال كبير أقيم في وسط البلدة، وقد أقيمت هذه
القصيدة المهدأة إلى روح جدي الشيخ محمود
عبدالحليم:

يا شيخنا محمود يا علم المدى
يا صاحب التوجيه والإرشاد
مائة من الأعوام قد مرت على
يوم الرحيل توشحت بسواد

(١) بهذا العام يكون قد مر على وفاة الشيخ محمود مائة عام

كنت الإمام و كنت خير معلم
و مفسراً للفقه و الأوراد
والدين أنت حميته و رعيته
و كذاك كنت مجندأ للضاد
ما زال مسجدك الذي شيدته
يختال بالعمّار و الرواد
ما زال مسجدك الذي أرخته
يحنو على المحراب و العباد
صوت المؤذن فيه قد هز الفضا
يا قوم (حي على الصلاة) ينادي
و الدار دارك للضيافة شرعت
أبوابها لتحية الوفاد
من كل ركن في البلاد أتوا هنا
من أجل رأي ردهم لرشاد^(١)
يا شيخنا محمود قم وانظر إلى
وطني يداه ثقيلة الأصفاد

(١) إشارة إلى عمله مفتى منطقة بني صعب

نزت على مر الزمان جراحه
 من غاصبٍ متوحشٍ و معاد
 والعُرب في شتى الحواضر نُومٌ
 سارت مراكبهم بغير قياد
 و القدس والهفي استباحوا ترها
 وتصبح هل في العُرب من أساد
 يا أيها البيت الذي فيه انبرى
 عبد الرحيم^(١) لغاصب بجهاد
 منه البداية للقصائد زانها
 صوت على الأعداء بالمرصاد
 و مضى يغذ خطاه نحو تحرر
 و الروح فوق الراح مثل زناد^(٢)
 تلك القصائد لو عقلنا ساعة
 كانت لشعبي كالشاعر الهادي

(١) الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود نجل الشيخ محمود

(٢) إشارة إلى البيت المشهور سأحمل روحي على راحتي وألقى بها في مهابي

الردى

يا يوم تحرير الحمى من عصبةٌ
عيد و ربى أجمل الأعياد
يا أيها القوم الكرام تحية
من ذوب قلبي من صميم فؤادي
ها جئت محتفلاً و كلي فرحة
فأنا أمثل جماعة الأحفاد
هذي عنبتا اليوم قد سعدت بكم
وتعطرت بمعاشر الأجواد
أهلا بكم في دارة كان هنا
منها يفوح بنكهة الأسيداد
يا حلوة التاريخ يا دار الآلى
يا دار عزٍ ساطع الأمجاد
إنني أتيتكِ بعد عمر حافل
فيه الرقاد طفى على الأجساد
بالأمس كنتِ على المدى منسيةً
واليوم أنت جديدة الميلاد

يا ساهرين على التراث تحية
هذا التراث هدية الأجداد
صون التراث أمانة وطنية
فاحموه من خصمٍ لئيمٍ عادي
الله بارك جيدهم و عطاءكم
والشكر موصولٌ مدى الآباد

وفي تاريخ ٢١/٧/٢٠ قام وفد من مدينة حيفا
يمثل (نادي حيفا الثقافي) برئاسة رئيس النادي الأديب
فؤاد نقارة والمحامي علي رافع ومعهم جمع من الشعراء
والكتاب والمحامين والصحفيين والمثقفين بزيارة بلدة
عنبتا، وقد حلّوا ضيوفاً على البلدية، وكان من برنامج
زيارتهم التعرف إلى مركز عبد الرحيم محمود الثقافي.
وقد قمتُ بشرح وافي لهم عن تاريخ هذا المكان، وأجبت
عن أسئلة كثيرة وجهها الإخوة والأخوات من الوفد
الزائر، وكان معظمها عن الشاعر عبد الرحيم محمود.

وفي تاريخ ٢٢/١١/٢٠٢٢ أقيم احتفال في المركز
بمناسبة إطلاق كتابي الجديد الذي يحمل اسم
(عبدالرحيم محمود شاهد ومشهود) حضره جمع من
الأهالي وأبناء العائلة، وفـ تحدث في الاحتفال كل من
فاضل نافع رئيس البلدية وحمد الله حمد الله رئيس
البلدية السابق، ومؤيد عبد الرحيم أسعد، والشاعران
عبد الناصر صالح ومحمد علوش، وقد قدمت نسخة
من الكتاب كهدية لكل من حضر الاحتفال.



**أعمال
أسندت الى أبناء العائلة
قبل عام ١٩٤٠ ميلادي**

الشيخ عبد الحليم الثاني:

- معلماً في كتاتيب عنبتا بعد عام ١٨٢٥
- إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا

الشيخ محمود عبد الحليم :

- معلماً في كتاتيب عنبta ١٨٥٩ - ١٩٧٦
- معلماً في قرية الطيرة عام ١٨٨٤
- معلماً في جامع البيك ١٨٨٨ - ١٨٨٥
- معلماً في مدرسة عنبta (في المسجد) ١٨٩٠ - ١٨٩٣

١٨٩٧

- إماماً وخطيباً في مسجد عنبta ١٨٨٨ - ١٩١٥
- مأذوناً في عنبta لأكثر من عشرة أعوام

- قاضياً في محكمة بداية بنى صعب في عام

١٩٠٢

- عضواً في مجلس إدارة قضاء بنى صعب في عام

١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٩

الشيخ عارف محمود عبد الحليم:

- معلماً في كتاتيب عنبتا بعد عام ١٨٩٠

- معلماً في مدرسة عنبتا (في المسجد) حيناً وفي

المضافة حيناً آخر ١٩٠٨ -

- إماماً وخطيباً في مسجد عنبتا ١٩١٥-١٩٣٥

الشيخ حمزة محمود عبد الحليم:

- معلماً في كتاتيب عنبتا

- معلماً في مدرسة عنبتا في المسجد والمضافة

. . . . ١٩٠٥

- محامياً ومرافعاً في المحاكم بعد ١٩١٠

الشيخ توفيق محمود عبد الحليم:

- إماماً وخطيباً في مسجد ميثلون قضاء جنين
- مأذوناً في قرية ميثلون وعزاً وسيريس والجديدة ومسلية حتى ١٩٦٨ عام وفاته.
- عضواً من أعضاء مؤتمر اللجان القومية المنعقد في القدس بتاريخ ٧ أيار عام ١٩٣٦ عن منطقة جنين ومعه الشيخ أديب الخالدي وحسين السوقي وعلي الحاج سعد وناظم العبوشي، وقد مثل منطقة جنين بحكم عمله وسكنه في قرية ميثلون، حيث كان إماماً وخطيباً ومأذوناً وشيخاً يشار له بالبنان. وهذا ماجاء في كتاب (القيادات والمؤسسات الفلسطينية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨) تأليف بيان نويهض الحوت صفحة ٨٨٩.

الشيخ رفيق محمود عبد الحليم:

- إماماً وخطيباً ووعاظاً في مسجد صانور حيناً،

وفي مسجد صير حيناً آخر وذلك في قضاء جنين

١٩٤٠ - ١٩٢٢

- مأذوناً في قرية صانور وقرية صير من ١٩٢٢

١٩٤٠.

- عضواً من أعضاء مؤتمر علماء فلسطين الأول

في ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٣٥ حسب ما جاء في

كتاب (القيادات والمؤسسات الفلسطينية في

فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨ تأليف بيان نويهض

الحوت ص ٨٨١).

- عاد إلى عنبتا صيف ١٩٤١ و وسلم إماماً

وخطيباً في مسجد عنبتا بعد أن توفي الشيخ

محمد أسعد عورتاني، وبقي إلى منتصف

الستينيات حيث تسلم بعده الشيخ عبد الفتاح

أبو عيشة

- تسلم المأذونية في عنبتا من الاستاذ أمين عورتاني بتاريخ ١٩٥٢/٣ وبقي فيها الى ١٩٦٩/٥/١٥

- مختاراً للبلدة عنبتا عام ١٩٥٢ بعد وفاة المختار ذيب ابو ريا، وظل مختاراً حتى سنة ١٩٥٨ حيث سلمها محمد ذيب ابو ريا

حيدر سعيد:

- معلماً ثم مديرًا في عدة مدارس آخرها مدرسة قاقون

فائق عارف:

- معلماً ثم مديرًا في عدة مدارس أهمها مدرسة سمخ

عبد الرحيم محمود:

- معلماً للغة العربية في مدرسة النجاح بنابلس عام ١٩٣٣

عبدالرؤوف حمزة:

- مدیراً في مدرسة دير جرير قضاء رام الله عام ١٩٣٢ ، وفي قرية الملاحة قرب القدس في أواخر

الأربعينات

كامل محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف

عبدالحليم محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف

عبدالكريم محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف

نجيب محمود:

- موظف في دائرة البرق والبريد والهاتف

الشعر في العائلة

اجتمع الشعر في بعض أبناء عائلتنا، وانحدر علينا
هذا الميراث الأدبي الرفيع من جدنا الشيخ محمود عبد
الحليم الشاعر والفقير والمفتى والقاضي. ولا أروح
بعيداً إذا قلت قد يكون الانحدار من والد الشيخ
محمود (عبد الحليم الثاني) أو أحد اجداده مثل الشيخ
(عبد الحليم الاول) بن الشيخ محمد العنتباوي الذي
ورد ذكره عام ١٤٩٩ ميلادي كأحد طلبة العلم الشرعي
في مدرسة شيخ الإسلام ابن قدامة في صالحية
دمشق^(١)، فلعله ولعل غيره كان شاعراً، ولكن لم يصلنا
شيء من أشعارهم لأنها ضاعت في دروب السنين. ولا
غراة في ذلك فكلهم فقهاء، والفقهاء قريبون من بوابة
الشعر.

(١) عنتبا في العصرين المملوكي والعثماني / بهاء محمد نصار ص ٨٢

وقد نبتت من نخلة الشيخ محمود بنتة شاعرية فذة اسمها عبدالرحيم محمود^(١)، الذي ذاع صيته في الآفاق، ثم بعد سنوات جاء الأحفاد ليحملوا راية الشعر، فظهرت فسائل جديدة: فسيلة اسمها أديب رفيق محمود (أبو الماء)^(٢) من مواليد ١٩٣٣، وهو صاحب دواوين ومؤلفات وعضو في اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين. وفسيلة ثانية اسمها معروف رفيق محمود (أبو طراد)^(٣) من مواليد ١٩٣٥، وهو شاعر مشهور على مستوى دولة قطر، وصاحب عدد من الدواوين. وفسيلة ثالثة اسمها طارق عبد الكريم محمود، من مواليد ١٩٤٢، له ديوانان وخمسة مؤلفات وعضو في اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين. وهناك فسيلة ناشئة اسمها أمجد عمر نجيب عبد الحليم، أتمنى لهذه الفسيلة أن تنمو حتى تصبح نخلة

(١) عبدالرحيم محمود استشهد في معركة الشجرة في ١٣/٧/١٩٤٨

(٢) توفي بتاريخ ٧/١٠/٢٠٢١

(٣) توفي بتاريخ ٩/٥/٢٠٠٥

كبيرة. ولا أنسى برهان رفيق محمود وهو شاعر مُقل.
وفي هذا المجال أسمح لدائرة الكلام أن تتسع فأقول:
لقد كان بيّني وبين ابن عي الشاعر معروف رفيق
محمود (ابوطراد) المقيم في دولة قطر مراسلات أدبية
جميله جداً على شكل قصائد متبادلة سماها معروف
(قصائد مسافرة). وقد كانت البداية عام ١٩٩٠ عندما
أرسل لي هدية وهي كتيب يحمل اسم (صرخة مسلم
على مشارف القرن الخامس عشر الهجري)، والكتيب
يحتوي قصيدة واحدة من مئة بيت مطلعها:

يا من قدومك زانه استبشر

هل في ركابك للورى أخبار

يا من تطل على الأنام مذكراً

فلرب ينفع غافلاً تذكار

قرن أطل فحبذا إطلاله

بالنور جاء وحبذا الأنوار

أبديت له إعجابي بالقصيدة، ورددت عليه
بقصيدة من أربعين بيتاً تحمل نفس الوزن والقافية،
وهذا مطلعها^(١):

يا من قصيدك بـلـسـمـ وـمـنـارـ
مـنـ ذـوـبـ قـلـبـيـ الـحـبـ وـالـإـكـبـارـ
الـشـعـرـ بـحـرـ فـوـقـ الـبـحـارـ
وـأـبـوـطـرـادـ فـوـقـهـ الـبـحـارـ
أـعـجـبـ مـعـرـوفـ بـقـصـيـدـتـيـ، وـرـدـ عـلـيـ بـقـصـيـدـةـ
مـنـهـاـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ وـعـلـىـ نـفـسـ الـوـزـنـ وـالـقـافـيـةـ:
بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ أـبـحـرـ وـقـفـارـ
لـكـنـ تـقـرـبـ بـيـنـنـاـ الـأـفـكـارـ
لـأـبـيـ طـرـيفـ صـفـتـ بـعـضـ مـشـاعـرـيـ
وـهـوـ الـذـيـ هـفـوـ لـهـ السـمـّارـ

(١) ديوان عندما تحلق الكلمات - طارق عبد الكريم محمود صفحة ١٠٦

عمرت قصيده القلوب حلاوةً
رغم النوى وتفتحت أزهار
والشعر في الفقهاء فيض سليقةٍ
طبع تأصل ما عليه غبار
من عهد جدي الشيخ محمود جري
كالسلسبيل جرت به أنهار
من بعده عبد الرحيم مجلّياً
فهو الشهيد الشاعر المغوار
وسميّه عبد الرحيم^(١) إذا روى
شعر الشهيد فصدره ذخار
وإذا ذكرت فلست أنسى صنوه
عبدالرؤوف^(٢) فشعره نوار

(١) الاستاذ عبد الرحيم أسعد (ابو الواشق) ابن العائلة تعاطى مع الشعر ولم يواصل.

(٢) الاستاذ عبد الرؤوف حمزة محمود ابن العائلة تعاطى مع الشعر ولم يواصل.

واذكر أديباً^(١) ثم ثنّ بنافع^(٢)
 وكذا الجمال^(٣) فشعره موّار
 واترك مساحات لجيل صاعد
 لا شك فيهم شاعر يختار
 فأبُو طريف^(٤) سوف يسعفُ ذاكراً
 من قد جهلت فإنه المختار
 و بعد كل هذا الاستعراض أتساءل: هل الشعر في
 عائلتنا إرث أو موهبة؟ قد يقول البعض إن الشعر إرث
 ورثه الشاعر عن آبائه وأجداده، كما يرث الأشيا
 المادية كالمال والعقارات، ويقول آخرون: إن الشعر موهبة
 وملكة من الله.

(١) الأستاذ أديب رفيق محمود ابن العائلة شاعر مشهور.

(٢) الأستاذ نافع ابراهيم سعيد ابن العائلة تعاطى مع الشعر ولم يواصل.

(٣) الأستاذ جمال الشيخ توفيق محمود ابن العائلة تعاطى مع الشعر ولم يواصل.

(٤) أبو طريف هو طارق عبد الكريم محمود

إذا وقفت أنا أمام هاتين المقولتين، فإني أعطي
نصيباً من الصواب للمقوله الأولى لأن الوراثة تؤثر
بشكل مباشر على الجينات، وأؤمن بأن الفروع تتأثر
بالأصول، وقالوا قدِّمَا الوراثة تلوّن الشخصية.
وكذلك أعطي نصيباً من الصواب للمقوله الثانية،
بمعنى أنه يمكن أن يكون الشعر موهبة ومقدرة يتمتع
بهما صاحبها. وإذا اجتمعت الوراثة مع الموهبة فإنها
يصنعن شاعراً مبدعاً، وبالتالي يظل الشعر إحساساً
ومشاعر خاصة بصاحبها، ويكون الشاعر متاثراً
بالمحيط الاجتماعي والبيئي والمعاناة الذاتية، ولديه
القدرة على صياغة التعبيرات الجميلة.

وأعود للتعليق على المقوله الأولى فأقول: إن
جينات الشعر ظهرت في عائلتنا كما ظهرت في عائلات
فلسطينية أخرى، فعائلة الكرمي في طولكرم ظهر فيها
الشيخ سعيد الكرمي وأبناؤه عبد الكريم الكرمي

(ابوسلمي)، ومحمد الكرمي، واحمد شاكر الكرمي وحسن الكرمي. ولنذهب إلى آل طوقان في نابلس، فقد ظهر فيها الشاعر الكبير إبراهيم طوقان وشقيقته فدوى طوقان، وشقيقه أحمد طوقان وابنه فواز أحمد طوقان.

وكذلك هناك عائلة الكيلاني^(١) التي ظهر فيها الشاعر سيف الدين الكيلاني، وإبراهيم زيد الكيلاني وحسني زيد الكيلاني ومحمد طاهر الكيلاني وعلي فهيم الكيلاني. وفي منطقة رام الله ظهرت عائلة البرغوثي^(٢) ومنها: عبد اللطيف البرغوثي ومرید البرغوثي وحسين البرغوثي وبشير البرغوثي وتميم البرغوثي.

(١) شعاءآل الكيلاني تأليف يوسف الدقنس

(٢) من الانترنت

وإذا ذهبنا إلى لبنان نجد عائلة معرف^(١) ومنها:
فوزي معرف وشفيق معرف ورياض معرف وميشال
معرف. وفي لبنان أيضاً عائلة اليازجي^(٢) ومنها: ناصيف
اليازجي وحبيب اليازجي وإبراهيم اليازجي ووردة اليازجي
وعبدالله اليازجي.

وفي مصر ظهر أحمد تيمور^(٣) وشقيقته عائشة
التيمورية وولداه محمد تيمور ومحمد تيمور، وإذا
تبحرننا أكثر لوجدنا هنا الكلام تنسحب عليه حالات
كثيرة في مختلف عصور الأدب العربي.

(١) الشعر العربي في المهجـر / محمد عبد الغـني حـسن

(٢) الجامـع في تاريخ الأدب العـربي / حـنا فـاخوري

(٣) الاتجـاهـات الأدبـية في العـالم العـربـي / أـنيـس المـقدـسي

الأحفاد

يواصلون مسيرة

جدتهم الأدبية

قصيدة الشاعر

المعروف رفيق محمود، ١٩٥٩

إلى روح الشاعر الشهيد أستاذ القلم والسيف
عبدالرحيم محمود^(١) وهو قائل البيت الأول من
القصيدة:

(سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى)
تهادى يصاول مُرَّ الردى
فأردى أعاديه واستشهدنا
على ثغره بسمة كالصبا
ومن دمِه قبسٌ قد بدا

(١) الشهيد عبد الرحيم محمود - أشهر من أن يعرف، هو عم الشاعر معروف، واستشهد في معركة (الشجرة) شمال فلسطين، وقد نظمت القصيدة في الذكرى الحادية عشرة لاستشهاده ١٣/٧/١٩٤٨.

دُعْتُهُ فَلَسْطِينُ أَنْتَ الْفَتِي
وَإِنِّي أَنَا الْأُمُّ، لِبِّ النَّدَا
فَعَادَ إِلَيْهَا بِنَفْسِ الشَّجَاعِ
وَأَسْمَعَهَا مَدْفَعًا غَرَّدًا
عَلَى جَانِبِيهِ صَنْوُفُ السَّلَاحِ
وَهَامَتُهُ تَسْتَفِرُ
وَفِي الْقَلْبِ حَقْدٌ يُذَيِّبُ الْحَدِيدَ
وَيُسْقِي الْأَعْادِي صَنْوُفَ الرَّدِي
وَيَهْتَفُ إِنِّي نَذَرْتُ دَمِي
وَفِي غَيْرِ أَرْضِي حَيَاتِي سُدِي
فَرَنَّ الْهَتَافُ بِهَامِ الدَّرَا
وَطَافَ عَلَى (الْقَدْسِ) مِنْهُ صَدِي

وَمَرَّ عَلَى (الْمُهْدِ) يُقْرِي السَّلَامَ
وَحِيَا (الْمَشَارفَ) وَ (الْمَسَاجِدَا)
وَطَالَعَهُ الْأَفْقُ فِي ظُلْمَةٍ
وَصَحْنُ السَّمَاءِ بَدَا أَرْبِدا
وَصَعَدَ اللَّهُ آهَاتِهِ
وَقَالَ إِلَيْكَ أَمْدُ الْيَدَا
أَعْنَى عَلَى الظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ
وَكُنْ لِي النَّصِيرَ عَلَى مَنْ عَدَا
وَفِي مَوْهِنِ رَاحَ مِثْلُ الْلَّظِي
عَلَيْهِمْ فَكَانَ الْفَتَى الْأَصْبَيْدَا
فَلَعْلَعَ رَشَّاشُهُ غَاضِبًا
وَوَقَعَ فِي الْلَّيْلِ لَحْنَ الْفِدَا

وَفِي الْفَجْرِ كَانَ سَنِيَ الْجَبَّيْنِ
وَسَالَ النَّجِيْعَ يَنِيرُ الْمَدِيْ
وَخَلَدَ أَنْشَوْدَةً لِلنَّاسِ
تَعِيشُ بِلَادِي وَيَفْنِي الْعَدَا

المدينة وشاعر^(١)

الشاعر أديب رفيق محمود ١٩٨٢

إلى روح عمه الشاعر عبد الرحيم محمود

كيف انفردت به يا زينة المدن؟

يا قلعةً من قلاع المجد لم تهنِ

يا ديمةً جاوزَتْ فيضَ البحور ندى

وما أضاعتْ صنيعاً سرَّ بالمنِ

يا دوحةً شارفتْ مسرى النجوم صدَّي

وظللتْ كلَّ مطرودٍ من الوطن

(١) المدينة هي مدينة الناصرة

لم تزجي الطير يوماً شاقه ثمراً
على فروعك أو طفلاً عن اللبن
من صدرك الحر يا أمماً عرفت بها
معنى الأمومة مبروءاً من الدرن
درجت في الحب مذ كان الزمان فتي
يحبوا على الشوك مطويأ على الدخن
بريئة الوجه يا من كنت ناصراً
لكل عان زكي القلب ذي فطن
سليمة النهج يا من كنت خاصرةً
تحمین كل صديق الريح والسفن

لأنِتِ أنتِ التي غنَّتْ على قمم
لها النسورُ نشيداً شدّ مِنْ وَهْنِي
مساءٌ إذ زارها في صُبْحِها بطلٌ
في سَمْتِه البرقُ والفولاذُ في اللّسنِ
أخو نضالٍ يرى في كلّ معرَّكٍ
عيذاً يخلّصُ فيه العبد من جُنِّ

اللّيلُ والخيُلُ والبيداءُ تعرِفُتي
والسيفُ والرمُحُ والقرطاسُ يعرُفُني
ما قالها عبثاً فحلَّ الفحولَ وَمَنْ
كانتْ لِهِ حلبُ الشهباءُ كالرّكنِ

لعلهُ قالها يعنيك مكتشفاً
عبر العصور زماناً غير ذي الزمن
نبوءة منكما كالبرق ساطعة
تغري الشكوك بصدق القول لا الظن
وقوه فيكما بل عزمه لكما
وحكمة منكما في حالك المحن
إذا تباهت عنبتا مرأة عجباً
فيمن تتوّج فخرأ رأسها يمن؟
بالشاعر الفذ من لاسميه رفعت
 مليحة الوجه منديلاً ومن وسن

قامتْ تُشااطِرُ فجر الصّبَحِ روعته
حسناء قد صرختْ يوْمًا ويَا حَزَنِي
ميلي بسيفٍ على التجار منْ عربٍ
منْ كُلِّ رخْوٍ بسُقطِ القولِ يرْجُمنِي

إني طريدُ طريدُ طريدُ أبداً
إني وحيدُ وحيدُ منْ سُيُونُسُني
إني شريدُ شريدُ فوقَ راحلتي
أستانطقُ التّجمَ هل أسرى إلى عَدَنِ
أم الشام؟ أم الأردن؟ أم جزءٍ
عبر المحيط؟ أم الصحراءُ تقبلُني؟

عبدالرحيم أجبني ما بساحتنا
إلا الذباب وموسيقاه تزعجوني

عبدالرحيم أجبني ما بساحتنا
إلا الكلاب عن البتروл تنبخوني

عبدالرحيم أجبني ما بساحتنا
إلا الذئاب رضعن الغدر من (زيون)^(١)

قد جئت أقرأ في ذكرالملحمة
وأنحني مُنسداً قد عشت يا وطني

(١) صهيون

إلى روح عمي أبي الطيب

طارق عبد الكريـم مـحمود فـي حـفل النـاـصـرـة

١٩٨٦

أيمها الرّاقدُ في أرضِ الجدودِ

قمْ وحيِّ الرَّكَبِ مِنْ أهْلِ الصَّمْوِدِ

قمْ وحيِّ الأهْلَ هَا هُمْ جَدَّدُوا

عهدهم في الحبِّ في عهْدِ جديـدـِ

جئتُ باسمِ الأهـلِ والصـحـبِ معاً

انثـرُ الورـدَ وأهـديـكَ قصـيدـي

يا أبا الطـيـبَ ما أنت سـوى

صـورـةِ المـغـوارِ والنـدـبِ العـنـيدِ

لم تكن للموت هياباً وما
كان في طبعك من طبع العبيد
وبعثت العزم في أبنائنا
وغرست البأس في قلب الجنود
كم طرید حائر كنت له
مشعل التنوير غوثاً للطريد
ومهاوي الموت كم عانقتها
بثبات الجأش والقلب الحديدي
بوركت روحك إذ أقيمتها
من على الراحة تدوى كالرعود

جُرْحَكَ الطَّاهِرُ مَا زَلْتُ أَرَى
بِشَمْوَخٍ نَازِفًا عَنْدَ الْوَرِيدِ
جُدْتَ بِالنَّفْسِ وَمَا جُدْتَ بِهِ
كَانَ عُنْوانَ الْوَفَا أَرْفَعَ جُودَ
كُلَّ مَعْنَى فِيهِ لِلْمَجْدِ عُلَى
مِنْكَ اسْتُوْحِيْهِ يَا أَغْلَى شَهِيدِ
أَئِمَّهَا الْقَائِدُ كُمْ مِنْ مَوْقِعٍ
خُضْتَهُ بِالْعَزِّ مَفْتُولَ الزُّنُودِ
ذَكَرِينَا يَا رَوَابِيْ وَاشْهِدِي
وَارُوْ عَنْهُ يَا سَهْوَلِيْ يَا نَجُودِي

تلَكَ (رأْسُ الْعَيْنِ) تروي قصّةً
في البطولاتِ و (بلعا) في العَدَيدِ
و (بِيَارُ الْعَدْسِ) كمْ فِيهَا لِقاً
وهنا (الشَّجَرَةُ) صاحٍ يا شهيدِي
نم قريرَ العَيْنِ في (ناصِرَةِ)
حولَكَ الأَجْرَاسُ تَشْدُوا بِالنَّشِيدِ

أَهْمَاهَا الْفَارِسُ أَطْرِبْ مَسْمَعِي
بحكايا الموتِ في ساحِ الأسودِ
قمْ وحدَثَنا وفصَّلْ خَبَراً
وارو سرَّ الغدرِ في القتلِ الشَّدِيدِ

قم وعلم كيف يُفدى وطن

برجالٍ انكروا درب القعود

قم وذُّ عن أرضنا يا تعسنا

ضاعت الأرض وعشنا في القيود

أئمها الثائرُ كم حذرتنا

من عدوٍ ظالم طاغٍ لدود

قم وسائلٌ عن فلسطينَ وما

قد تنبأت لها مُنْدٌ عهود

يوم دوّت صيحةً أطلقها

في حضور الشعبِ من حولِ (سعود)

أيُّها الشامخُ يا رمَّـة الفِدا
يا منارَ الحقِّ لِلشَّعْبِ الشَّرِيدِ
هذِهُ الْأَرْضُ الَّتِي قدَّسَتْهَا
قدْ غَزَاهَا الغُرْبُ مِنْ كُلِّ صَعِيدٍ
والرِّعَامَاتُ الَّتِي حَارَبَتْهَا
لَمْ نَزَلْ مِنْهَا نَرِي شَتِّي الْجُحُودِ
ضَاعَ أَهْلِي فِي مَتَاهَاتِ الدُّنْـا

مَذْ فَقَدَنَا خَطْـةَ النَّهْـجِ السَّـدِيدِ

رَبَّ وَاعْبُـد الرَّحِيمَـاهُ عَلَـتْ
مِنْ جَمْـوِ الْأَهْـلِ مِنْ خَلْـفِ الْـحَدَودِ

قد أصمت سمع عربٍ ساهموا
في ضياع الأرض والحق التليد
أئمها العرب أفيقوا وارقووا
عودة الفارس تبدو من بعيد
املاوا التاريخ مجدًا وفديًّا
وانفضوا العجز وهيأا للصعود
ما أضاع الأهل والأرض سوى
فرقة الصف ومسئولي الوعود
أئمها البُلُلْ كم أشجينا
برقيقِ الشعرِ والفنِ الجديد

عشْتَ عُمْرًا مَرَّ كَالْوَمْضِ وَمَا

كُنْتَ يَوْمًا صَاحِبَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ

لَكَ يَا عَمِّي عَشْقُتْ صُورَةً

مَنْذُ أَنْ كُنْتُ عَلَى لِينِ الْمُهُودِ

لَمْ أَكَحِلْ مِنْكَ جَفْنِي فَلَقْدُ

ضَاعَ مِنْكَ الْعُمْرُ فِي السَّعْيِ الْحَمِيدِ

كَلَّمَا دَمْعِي هِيَ مِنْ مُقْلَتِي

رَدَّدَ الْقَلْبُ لَهُ هَلْ مِنْ مُزِيدٍ

يَا ضَرِحًا ضَمَّ أَسْمَى بَطِيلٍ

مِنْ (عَنْبَتَا) قَلْعَةِ الْعَزِّ الْوَطِيدِ

منْبَتُ الْأَبْطَالِ أَرْضِي مِنْذُ أَنْ
غَابَ حُقُّ الْأَهْلِ فِي هَذَا الْوِجْدَوْد
كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ يَهُوَيْ بَطْلٌ
هُوَ عِيدٌ أَيْ عِيدٌ أَيْ عِيدٌ
أَئْمَهَا الْفَارْسُ أَحْنَى هَامْتِي
لَكَ إِجْلَالًا عَلَى الدِّكْرِ الْمَجِيد
إِنَّ مُؤْتَأً مَتَّهُ غَاظَ الْعَدِي
بَيْنَ طَعْنٍ بِالْقَنَا تَحْتَ الْبَنْوَدِ
وَنَضُوتَ الْعِيشَ ذُودًا عَنْ حِمَى
فَكْسَالَ المَوْتُ أَثْوَابَ الْخُلُودِ
فَغَدَا ذَكْرُكَ مَا بَيْنَ الْوَرَى
نَفَمًا يَبْقَى مَدِي الدَّهْرِ الْأَبِيدِ

من طارق عبد الكريم محمود

إلى معروف رفيق محمود

١٩٩٠

قلتها معارضًا لقصيدة ابن العم الشاعر معروف رفيق
محمود "أبو طراد" صرخة مسلمة على مشارف القرن
الخامس عشر الهجري" والتي مطلعها:

يا من قدومك زانه استبشر

هل في ركبك للورى أخبار

يا من تطل على الأنام مذكراً

فلرب ينفع غافلاً تذكار

قرن أطل فحبذا إطلاله

بالنور جاء وحبذا الأنوار

حفت بموكيه الهدایة والسنّا

وعلى الجوانب فتح النوار

القصيدة:

يَا مَنْ قَصِيدُكَ بِلِسْمٍ وَمِنَارٌ

مِنْ ذُوْبِ قَلْبِي الْحُبُّ وَالْإِكْبَارُ

ذَكْرِتَنِي بِكَ مِنْ خَلَالِ قَصِيدَةٍ

وَيَلْدُ يَا مَعْرُوفُ لِي التَّذَكَارُ

الشِّعْرُ بَحْرٌ فِي الْعَذُوبَةِ زَاهِرٌ

وَأَبُو طَرَادٍ فَوْقَهُ الْبَحَارُ

هَيَّجَتْ عَنِّي خَاطِرِي وَمَشَاعِري

وَأَنَا الرَّقِيقُ تَثِيرُنِي الأَشْعَارُ

إِنِّي تَلَوْتُ عَلَى الرَّفَاقِ قَصِيدَكُمْ

فَتَعَطَّرْتُ بِسَمَاعِهِ الْأَسْمَارُ

تلك القصيدة يا حبيبي صرخةٌ
فيها على الدين القويم تغادرُ
من مسلمٍ عرفَ الطريقَ لحقِّهِ
فمشيٌّ إليهِ وكلُّهُ إصرارٌ
فيها عتبَتْ على العروبةِ مُزقتْ
وتکاثرتْ منْ حولِها الأخطارُ
ولقد شتمتْ من العتابِ روائحاً
هي في الحقيقةِ يا أخي إنذارٌ
معروفٌ إني قد رأيتكَ حاملاً
قلباً كقطبي هزةً الإعصارُ

لِيَلَّاكَ^(١) يَا ابْنَ الْعَمِ لِيَلَّا يَالِي
عَزَفْتُ لَهَا مِنْ خَافِقِي الْأَوْتَارِ
حُبِّي الْكَبِيرُ مَنْحُتُهَا وَوَهْبُهَا
وَالْحُبُّ عَنِي الْبَذْلُ وَالْإِيَثَارُ
قَدْرُ عَلَيْهَا أَنْ تَسِيلَ دَمَاؤُهَا
وَيَئِنَّ جُرْحَ فَاغْرُ مِدْرَارُ
يَا صَاحِبِي عَمَ الْبَلَاءِ بِشَعْبِنَا
أَيْنَ الْعَروَةُ سِيفُهَا الْبَتَّارُ؟
إِنَّ الْعَروَةَ سِلْعَةٌ سُوقِيَّةٌ
مُتَحَكِّمٌ فِي بَيْعِهَا الدُّولَارُ

(١) إشارة إلى بيت معروف: لِيَلَّا يَالِيَلَّا فِي قَلْبِي وَتَسْكُنْ مَهْجَبِي - وَأَنَا الْمَلْوَحُ وَالْهَوَى غَدار

نَزَّلْتُ إِلَى سُوقِ الْمَزَادِ بِعَالَمٍ
يَجْتَاهُ الْزُّعْرَانُ وَالْأَشْرَارُ
وَاللَّهُ إِنِّي مُثْقَلٌ بِعُرُوبِي
حِينَ الْهَزَائِمُ قَادَهَا الْفَجَّارُ
مَعْرُوفٌ يَا ابْنَ الْعَمَّ هَذِي أُمَّةٌ
هَزَّاتٌ بِهَا الْأَوْغَادُ وَالْأَخِيَّارُ
وَالْعَالَمُ الْعَرَبُ يَلْهُثُ وَاهِمًا
خَلْفَ الرُّؤْيِ يُغْرِيهِ الْاسْتِعْمَارُ
وَالْخُلْفُ فَرَقَنَا وَأَفْسَدَ عَيْشَنَا
وَالْخُلْفُ عِنْدَ خُصُومِنَا إِعْمَازٌ^(١)

(١) إشارة إلى بيت عمي عبدالرحيم: والخطب مرقنا قبائل جمةً - والخطب عند

عداتنا لِمَّا

إنا بآيَدِينَا جَرَحْنَا قُلْبَنَا^(١)

قد قالَهَا عَمْ لَنَا مِغْوازُ

واليوم يا مَعْرُوفٌ تذكُرُ قَوْلَةً

شَاءُ أخْوَاهَا ظَالِمٌ جَزَارٌ^(٢)

صَدَقْتُ مَقْوِلَاتٍ طَرِبْتُ لِسَمْعِهَا

مِنْ خُلَصٍ عَنِّي هُمُ الْأَبْرَارُ

انظُرْ لخارطةِ العروبةِ هلْ ترى

إلا السُّجُونَ تَلْفُهَا الأَسْوَارُ

إلا المساجِدَ رحْبَةً وكثِيرَةً

لكنْ ويا أَسْفِي نَائِي الزَّوَارُ

(١) الشطر الأول من بيت عبي عبد الرحيم: إنا بآيَدِينَا جَرَحْنَا قُلْبَنَا - وبنـا إلينـا جاءـت
الآلام

(٢) إشارة إلى بيت معروف: لكن تنكبـنا الطريقـ فـكـلـنا - شـاءـ أخـوـهـا ظـالـمـ جـازـ

إِلَّا الْمَعاهدُ وَالْمَدارسُ تَعْتَلِي

وَمَعَ الْعَلوِّ أخِي خَبَثٌ أَنْوَارُ

إِلَّا الْمَزَارُّ جَنَّةٌ فِي مَدَّهَا

أَثَارُ بُرْكَاتُهَا لَيْسَتْ بِهَا

إِلَّا السُّطُورُ كَئِيبَةٌ فِي سِفْرِهَا

وَإِسْتِهْتَارُ مَمْلُوءَةٌ خِرْزٌ

إِنَّ الْبَنَاءَ إِذَا تَدَاعَى رَكْنُهُ

لَا بَدَّ يَوْمًا يَا أخِي يَنْهَارُ

يَا حَامِلًا رَايَ الْقَصِيدِ بَعْزَةٌ

هَذَا الْقَصِيدُ هَدَايَةٌ وَمَنَازُ

هذا القصيدة قِلادةٌ ماسيةٌ

في جيدِ مَنْ عَشِقَ الحُمَى وفخارُ

هيَجَّتْ قلبي في الحديثِ عنِ الْأَلَى

لَيْتَ الْأَلَى طالْتْ لَهُمْ أَعْمَارُ

مَلَأُوا الْبَلَادَ رجولةً وسماحةً

والْعَدْلُ نِبْرَاسُ لَهُمْ و شِعَارُ

يَا مَنْ دَعَوْتَ الْمُسْلِمِينَ لِوَحْدَةٍ

فِي صَرْخَةٍ صَوْتٌ لَهَا هَدَارُ

أَخْشَى صُرَاخُكَ أَنْ يَكُونَ دُويًّا

فِي قَاعِ وَادٍ مَا بِهِ اسْتَذْكَارُ^(۱)

(۱) إِشارة إلى المثل القائل: صرخة في واد

معروفٌ جِنْتُكَ فَوْقَ ظَهِيرٍ قصيدةٌ

بِيَدٍ تُلَوِّحُ مِلْؤُهَا الْأَزْهَارُ

لَا لَا تَقُلْ مِنْ أَينَ جَئْتَ فَإِنِّي

يُكْفِي أَتَيْتُ وَشَاءَتِ الْأَقْدَارُ

فَاقْبِلْ قصيدي بِالْمُحَبَّةِ مُفْعِمًا

فَعَلَى الْمُحَبَّةِ يَبْسِمُ النَّوَارُ

من معروف رفيق محمود إلى

طارق عبد الكريم محمود

١٩٩٠

بيني وبينك أبحر وقفأر

لكن تقرب بيننا الأفكار

فلرب صرخة مسلم قد أسمعت

رغم النوى - قلباً به استشعار

طرقت على بعدي جوانح (طارق)

فإذا الشعور تهزه الأشعار

وتفاعلَت كل المشاعر وانبرت

في صرخة أخرى لها آثار

والشعرُ إنْ لم يَسْتَبِرْ مَكْنُونَنَا
يمضي إلى النسيان، فهو نثارٌ
عشرُ من السنوات مرّتْ - بَعْدَهَا-
تمضي السنونُ وتنقضي الأعماّرُ
أرسلتْ صرخةً مسلِّمٍ متألِّمٍ
فلعلَّ تنهضُ أمّي وثارٌ
أمّلتُ ثمةً أنْ تقومَ مصانعُ
ومزارعُ فيها جَهَنَّمٌ وثمارٌ
فإذا الشجارُ على الحوارِ مُقدَّمٌ
وإذا التشاحنُ سلعةً وشعارٌ

وتصيحُ ليلي والرجال تطاحنُ
وسيوفهم عميّث، فلا إبصارُ
والإخوة الأعداء لم يتغيروا
باسم الأخوة كلهم جزارُ
ونجيعُ (اليلي) فوق كل تنوفة
وعلى جديتها الردى الخطار

لأبي طريف صفت بعض مشاعري
وهو الذي يهفو له السمارُ
عمرتْ قصيده القلوب حلاوةً
رغم النوى، وتفتحت أزهارُ

(فالدوحة) الخضراء زادت بِهِجَةً

وعلى (عنبرنا) أزهار النوار

والشعر في الفقهاء فيض سليقة

طبع "تأصيل" ما عليه غبارُ

من عهد جَدِّي الشِّيخ محمود جري

كالسلسليَّ جرت به أنهارُ

من بعده، عبد الرحيم مجللًا

فهو الشهيد الشاعر المغوار

وسَمِّيَّهُ عبد الرحيم إذا روى

شعر الشهيد فَصَدَرَهُ ذَخَار

وإذا ذكرت .. فلست تنسى صنوه

عبدالرؤوف فشعره نوار

واذكر أدبياً ثم ثن بنافع

وكذا الجمال فشعره موّار

واترك مساحات لجيل صاعد

لا شك فيهم شاعر يختار

فأبو طريف سوف يسعف ذاكراً

من قد جهلت فإنه المختار

من طارق عبد الكريم إلى معروف رفيق محمود

رد على الرد

القوافي الغرر

١٩٩١

أطلَّتْ عَلَيَّ القوافي الغرر

بِهَا شَاعَ دِفْءُ الْوَفَا وَانْتَشَرْ

أطلَّتْ قوافيكَ يَا شاعري

فَهَا جَتَّ عَلَيَّ الصَّبَا مِنْ قَطْرٌ

بِتَلَكَ الْمَعَانِي أطلَّتْ الْوَقْوفَ

وَمَلَّيْتُ مِنْهَا الْحَجَى وَالبَصْرُ

سُرِّزْتُ بِهَا مِنْ عَمِيقِ الشَّعْورِ

وَأَبْقَتُ بِقَلْبِي عَظِيمَ الْأَثْرِ

قوافيَّ يا صاحبي مثلُ بحرِ
بِهِ الغُوصُ يحلو لأغلى الدُّرْرُ
وفيها البيانُ البديعُ الجميلُ
وفيها النقاءُ بأبهى الصورُ
وفيها منَ الدرسِ ما يُستفادُ
وفي الدرسِ دوماً تكونُ العبرُ
حملَ الإلهُ من النباتات
وصانك معروفة من كل شر
وعشتَ مدى العمرِ يا ملهمي
منارةَ خيرِ لكلِ البشرِ

وَدُمْتَ لِأهْلِي قِيَاثَرَةً
وَظَلَّ قَصِيدُكَ أَحْلَى وَتْرٌ

يُسَائِلُنِي الصَّحْبُ فِي جَلْسَةٍ
بِهَا الشِّعْرُ كَانَ حَدِيثَ السَّمْرِ:

لِمَا مُنْحَتُمْ فَنُونَ الْقَصِيدَ؟

وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْبَيَانُ الْأَغْرَ؟

فَقُلْتُ : هُوَ الدَّخْرُ يَا إِخْوَتِي

وَرَثَنَاهُ عَمْنُ يَوْمٍ يُفْتَخِرُ

وَنَحْنُ عَلَى دَرَبِهِمْ سَانِرُونَ

وَنَحْنُ افْتَدِينَا بِأَسْمِ السَّيْرِ

فجّدِي لَهُ مِنْ جَمِيلِ الْقَصِيدِ

وعيٌ - كما تعلمون - الأبرُ

وهذا ابنُ عمي (الأربُّ) الأديبُ

سليل القوافي هو المعتَبُ

وهيَا اسألوا الحاجَ معرفَةً عَنْ

قصائدٍ فيها تحذّى الخطَرُ

بصوتٍ لَهُ نبراتُ الرجالِ

إذا قامَ ينشِدُ في المؤتمرِ

هناكَ بدوحةٌ ذاكَ الخليجِ

لقدْ داعَ ذِكْرُ له واسْتَهْرُ

وصاغَ القصيدَ بعذبِ الكلامِ

فهزَّ النفوسَ وشقَّ الحجرُ

وناجَى القلوبَ بـأـحـانـيـهـ

ووشوشَ بالحبِّ ثغرَ الزَّهرُ

قالوا: وما - الشـعـرـ فـي مـذـهـبـ

تـدينـ بـهـ فـنـماـ وـاـذـهـرـ؟

فقلت: القصيدُ ربيعُ القلوبِ

فيما سعدَ منْ في الحياة شَعَرَ

وما الشـعـرـ عـنـيـ سـوـيـ رـحـلـهـ

هـاـ كـمـ يـطـيـبـ وـيـحلـوـ السـفـرـ

بشعري أحلق فوق الذرى

لأشهد كيف الضلال انتصر

يكون تجرداً من رقة

وكون علا فيه من قد غدر

أصوّر بالشعر أحلى الرؤى

وأرسم الكلمات الفكر

اللون شعري بلون المروج

وعزف السواقي وهمس الشجر

وأنسجها من عبر الورود

وشدو الطيور ووقع المطر

وأبكي على ظالم رحمةً
وأحكي حكايةٌ خلٍ هجر
وأعلي بنيائهمْ لقوميَّ
وأخشى عليهمْ من المندَر
فيما صحب قولوا، أبعد الذي
عَرَضْتُ مِنَ الْأَمْرِ يخفي الخبر؟
فقالوا: وَأَينَ ذواتُ الْحِجَالِ
وَحْبٌ لَهُنَّ ذَا وَاسْتَعْرٌ؟
أَمَّا حرك الحب حُلُو القصيد؟
أَجَبْتُ وفي النفسِ بعضُ الحذَرِ:

"بناتُ الشِّيُوخِ" أَثْرُنَ الشَّعُورَ

فَهُنَّ لَنَا مِثْلُ حَلْوِ الثَّمْرِ

(فَهُنَّ) مِنَ الزَّهْرِ كَانَ اسْمُهَا

(وَتَلْكَ) اسْمُهَا مِنْ ضَيَاءِ الْقَمَرِ

فَكُمْ قُدْ أَزْلَنَ عَنَاءَ الْحَيَاةِ

وَكَمْ قُدْ مَحْوَنَ سَحَابَ الضَّجَرِ

فَهُنَّ لَنَا مُلْهِمَاتُ الْعُقُولِ

وَهُنَّ الْلَّوَاتِي يُرِحْنَ النَّظَرَ

رَعَاهُنَّ رَبِّي لِمَا قُدْ بَذَلَنَ

مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ نَحْوَ الظَّفَرِ

فقالوا: سَعْدُنَا بِهَذَا الْلَقَاءِ
وَيَا لَيْتَ هَذَا الْلَقَاءَ اسْتَمْرَ
وَحْقًا هُوَ الشِّعْرُ رُوحُ الْوُجُودِ
وَكَاشِفُ الْمَسْتَرِ مَكْنُونَهُ
فِيَا حَظًّا مَنْ أَسْعَفْتُهُ الْحَيَاةُ
بِقُولٍ قَصِيدٍ يُزِيلُ الْكَدْرَ
أَمَا مِنْ سَبِيلٍ لِفَرْضِ الْقَصِيدِ؟
فَقُلْتُ مُجِيبًا بِفَكْرٍ حَضْرٌ:
إِذَا مَرَءٌ رَامَ طَرِيقَ الْقَصِيدِ
”فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدْرُ“

من معروف رفيق محمود إلى
طارق عبدالكريم محمود
رذاذ المطر.. في القوافي الغرر عام ١٩٩١

تهادت كوقع المني والمطر
فأحيثت فؤاداً علاه الصجر
أعادت إليه ابتسام الزمان
وعطر الجنان، وفوح الزهر
عروس من الشعر فيها الجمالُ
تجلتْ فكانتْ كضوء القمرْ
كمال .. جلال .. وسحر حـ
لـلـلـ .. فيا ليـتـ شـعـريـ أـيـنـ المـفـرـ؟ـ!

أـتـتـ مـنـ عـنـبـتاـ كـسـرـبـ الـحـمـاـمـِ
وـحـطـّـتـ بـقـلـيـ فـكـانـ المـقـرـ

حمامٌ تهادى، وشوقٌ تمادي
رسولٌ من الأهلِ عندي حَضْرٌ
هديلُ الحمام، بشيرُ السلام
فأهلاً لمن زارنا في قطر
من السهل يحمل شوق السنابلِ
بَوْحَ الجداول، حُبَّ الشَّجَرُ
ويحمل من شامخاتِ الجبال
حنينَ الدّوالي لعزفِ الوتَّرِ
يُرددُ في الليل صوت العتابا
فيهترُ للصوت قلبُ الحَجَرُ
وعتبى لشَبَابَةٍ (عَتَاباً)
تلذُّ إلى حين وقتِ السَّحَرُ
لتلك الليالي يَحِنُّ المَشْوَقُ
فهل فسحةٌ في بقايا العُمُرِ؟!

يُسائلك الصحبُ عن رحلة
مع الشعِر .. قلتْ : وطاب السَّفَرْ
كأنك ترجمتَ عن مذهبِي
وفسّرتَ ما بفؤادي استقرْ
هو الشعْرُ عندي فؤادٌ يمُورُ
وروحٌ تعانق أسمى الفِكرْ
وشعري على الظلم والظالمين
اذا ولَغوا في دماء البشر
وللخير عندي نصيب كبير
ليعلو ويسمو على كل شر
وشعري انتماء لقومي الكرام
أفتخر دائمًا بأخلاقهم

أريدُ لِهِمْ مَكْرُماتُ الْحَيَاةِ
وَبِالرُّوحِ أَفْدِيهِمُو فِي الْخَطْرِ
أَرِيدُهُمُو مِنْ بُنَاهُ الْعَلَا
بعِيداً عَنِ الْعِيشِ بَيْنِ الْحُفَرِ
وَشُعْرِي مَعَ النَّاسِ إِنْ أَنْصَفُوا
وَأَكْرَهُهُمْ مِنْهُمْ عَدُوًّا غَدَرٌ
وَتَؤْلِمُنِي صَرَخَاتُ الْجَيَاعِ
وَفِي الْأَرْضِ خَيْرٌ يَعْمَلُ الْبَشَرُ
فَأَيْنَ التَّكَافِلُ فِي الْحَادِثَاتِ
وَأَيْنَ التَّعاَونُ عِنْدَ الْكَدَرِ

أَحَبُّ الطَّفُولَةَ فِيمَا أَحَبُّ
عَلَيْهِمْ أَخَافُ الْغَدَرَ الْمُنْتَظَرُ
تَضِيقُ الصَّفَوْفَ بِأَعْدَادِهِمْ
وَعِنْدَ الْأَجَانِبِ هُمْ كَالدَّرْرُ

هناك الطفولة في مأمين
للخطر يقودونهم وأهلي
فلا الأمهات يعلّمُنَّهم
وآباؤهم يصرفون
فأين المربون من أهلنا
وأين البصيرة أين البصر
إلى الله أشكو ضياع الصغار
وأشكو إليه ازدياد الضرر

أغني وأصرخ في أمي
أفيقي وهبي أعيدي النظر
أعدي بنيك يطلّ لقرن
وعصر يفوق امتداد العصر

فَبَيْنِ يَدِيْكِ الْكِتَابُ الْمَبِينُ
تَأْلِقُ فِي مُنْزَلَاتِ السُّوْرِ
فِي الْعَصْرِ أَقْسَمُ رَبُّ عَظِيمٍ
وَبِالْفَجْرِ أَقْسَمُ رَبُّ الْبَشَرِ
وَأَوْلَى إِيْ يَعْلَمُ عَلَى الْمَصْطَفِيِّ
أَنِ اقْرَأْ وَفِيهَا ابْتِدَاءُ السَّهْرِ
وَقَالَ (اعْمَلُوا) إِثْرَ قَوْلِ اعْ
لَمُوا .. وَقَالَ (انْظُرُوا) وَأَطْيَلُوا النَّظَرُ
وَمِنْ بَعْدِ إِقْرَأْ تَلَاشِي الظَّلَامِ
بِعِلْمٍ أَنَارَ الدُّنْيَا وَانْتَشَرَ
وَعَلَّمَ دَاؤَدَ صُنْعَ الْحَدِيدِ لِصَ
الرَّبُّ نَعَ السَّدُودَ بِرَصِّ
وَأَلْهَمَ نُوحًا بَنَاءَ السَّفَيْنِ
وَعَلَّمَهُ كَيْفَ صُنْعَ الدُّسُورِ

فأين الصناعة .. أين التطور...

ها قد رجعنا لعصر الحجر

أطارقُ عندي الكثيرُ الكثيرُ
ولومي لقومي حديثُ عَبْرِ
أريد لقومي ارتياح الصعب
ولكنَّ أكثرهم قد سخِرُ
فشعري يحاول إيقاظهم
وشعري يحاول رسم الصُّورُ
وأعلم ماذا يعوق المسيرةَ
لكنَّ أسيرُ ولا أنتظرُ
صفارُ الجياد إذا ما كَبَتْ
ستهضُّ حتماً برغم الخَطَرِ

أطّارقُ أحسنتَ عندَ الختامِ
وأنصفتَ حقاً ذواتِ الْخُمُرِ
ذواتِ الجمالِ، ظهيرُ الرجالِ
وعرشِ الجمالِ بهنِ اشتهرَ
يُثْنَ الخيالَ .. يُسْقِنَ الدلَالَ
وفي الجدِّ يغزلُ ثوبَ الظفرِ
بناتُ المشايخِ ذقنِ الكفاحِ ..
عرفَنَ الجراحَ .. وذقنَ الأمْرِ
تربيَنَ في حاضناتِ التُّقىِ
فكَنَ العفيفاتِ منذَ الصغرِ
فتَهْ يا طريف .. وتهْ يا طِرَادُ ..
خُذا من كلامي جَلَّيَ الخبرَ

أديب رفيق محمود
في رثاء شقيقه معروف رفيق محمود ٢٠٠٥

يا دوحة المجد أنت الأهل والآل
والخير فيك على الآباء هطالُ
وأنتِ أنتِ على الأيام جوهرة
وأنت أنت على الأمجاد سريرًاُ
الحصن رسمك إما نكبة نزلت
والحسن وسمك إما حنّ موالُ
والبذل بذلك إما حلّ مرتحل
والهدي هديك إما تاه ضلالُ
رصينةً أنت لكنْ كنت بارزةً
لما ترجل في الميدان خيالُ

قلبي حزينٌ وإنِي صامتُ أبداً
ودمع عيني على الأقران همَّاً

قلبي حزينٌ وإنِي صامتُ أبداً
ونبض قلبي على الخلان قوَّاً

وكان أن غادر الدنيا أخو أملٍ
عفَّ الـكريمين في الساحات جوَّاً

دينٌ وعلمٌ هو الشـلـال منبسطاً
قولٌ و فعلٌ وفي النـخـوات بـذـالـ

حزْمٌ وعزمٌ واتقاد رؤى
روحٌ وجسمٌ من الفولاذ تمثـالـ

ما غاب يـاقـومـ عـنـاـ واحدـ رـجـلـ
بل غاب عنـاـ جـمـيلـ الذـكـرـ مـفـضـالـ

أبا طراد وإنى طائر غرداً
تهز صوتي أحلام وأمال
قد عشت عمرك أضعافاً مضاعفةً
ونلت من شرف الأشهاد ما نالوا
يا خالد الذكر كنت الأمس حاضرنا
يا خالد الذكر أنت اليوم وصال
الله أكبر في معروف اجتمع
كل الخلال وبعض الناس سلطان
الله أكبر أعمام وأخوال
كواكبًا في سماء الكون دائرة
تحت العناية إن أصفوا وإن قالوا

ما متّ ما نمت أنت اليوم في حُلِمٍ

تصحو الجنان على من قومه جالوا

من مزن جودك إني اليوم منتهٌ

من رفد مجدك إني اليوم عَلَّال

من شعرك الحر والجيتار صادحةٌ

تضاء من برقه في الكون آصال

طارق عبد الكريم محمود
في رثاء
الاستاذ معروف رفيق محمود

قلتها في رثاء ابن عمي الشاعر معروف رفيق محمود
الذي انتقل إلى رحمته تعالى في دولة قطر بتاريخ
٩/٥/٢٠٠٥ وقد كان بيبي وبينه مساجلات شعرية.

سامِرُ الدوحةِ زَيْنُ الشعوَاءِ
أنتَ يا معروفُ يابَنَ الفقهاءِ
يا حبِيباً شَعَّ نوراً هادِيَاً
يا وفِيَاً فَوَقَ كِلِّ الْأُوفِيَاءِ
جِئْتُ أَرْثِيكَ بِشَعْرٍ دَامِعٍ
أنتَ وَاللَّهِ حَرِيُّ بِالرِّثَاءِ

في فؤادي حُرقةٌ مشبوبةٌ
في الحشا حُزْنٌ و نَارٌ و اكْتِوَاءٌ
هَرَّنِي النَّعِيُّ فَمَاذَا في يدي
غَيْرُ تسلِيمِ أَمْوري للقضاء
كُنْتَ لِي بِالْأَمْسِ أَسْتَاذِي الَّذِي
وَسَعَ الْأَفْقَ أَمَامِي وَالْفَضَاءُ
فَتَسَاجَلْنَا قصيدةً يانعاً
فِيهِ حلوُ الشِّعْرِ حِسْنُ الشُّعْرَاءِ
وَلِذَا حُقَّ يَكْتُوي لِقْلِي
ولعَيْنِي تَجُوداً في البكاءُ

كُمْ تجَرَّعْنَا الأَسِيْ يَا صَاحِبِي
بِمَا سِينَا لَقْدْ فَاضَ الْإِنَاءِ
نَائِبَاتُ الدَّهْرِ قَدْ حَلَّتْ بِنَا
وَالْأَسِيْ جُسِدَ فِي كُلِّ فِنَاءِ
مِنْ عَنْبَتَا سَافَرَ الْحُزْنُ إِلَى
دُوْحَةِ الْمَاجِدِ لِكِيْ يُرْجِي الْعِزَاءِ
وَاكْتَسَى الْأَهْلُ سَوَادًا حَالَكَا
عِنْدَمَا نَعْيَكَ يَا مَعْرُوفُ جَاءَ

بُلْبَلَ الشِّعْرِ وَهَذِي أَدْمُعِي
رَمْزُ تَقْدِيرٍ وَحِبٍ وَإِخَاءُ

يا كَرِيمَ النَّفْسِ وَالْخُلْقِ وَيَا
جَامِعَ الشَّمْلِ لِكُلِّ الْأَصْدَقَاءِ
كُنْتَ لِلْأَهْلِ مَلَادًا آمِنًا
وَأَنِيسًا فِيهِ حُسْنٌ وَنَقاَءٌ
كُنْتَ كَالْبَلْسِمِ لِلْجُرْحِ إِذَا
سَالَ جُرْحٌ وَلَهُ كُنْتَ الشَّفَاءُ
وَلَوَاءُ الشِّعْرِ فِي عَلِيَائِهِ
ظَلَّ يَزْهُو بِكَ يَا فَخْرَ الْلَّوَاءِ
صَوْتُكَ الصَّدَاحُ غَتَّى لِلْحِمَى
وَحْلًا مِنْكَ صَدَاحٌ وَغِنَاءٌ

إِيَّاهُ يَا ضَادُ اذْرَفِي دَمَعًا عَلَى

شَاعِرٍ فَاضَ بِيَانًاً وَعَطَاءً

شَاعِرٍ صَاغَ الْقَوَافِي دُرَّاً

زَانَهَا فِكْرٌ وَرُوحٌ وَبَهَاءٌ

أَيْهَا الْمُسْلِمُ فِي صَرْخَتِهِ (١)

مِنْ عَمِيقِ الْقَلْبِ أَطْلَقْتَ النِّدَاءَ

يَوْمَ أَنْ دَبَّ بِقَوْمِي وَهَنْ

وَاعْتَرَى الْعُرْبَ هَوَانٌ وَخُواءَ

تَسْتَحِثُ الرَّكَبَ كَيْ يَمْضِي إِلَى

قَمَةِ الْمَجَدِ وَإِعْلَاءِ الْبِنَاءِ

(١) اشارة إلى ديوانه صرخة مسلم

سَلْ فِلْسَطِينَ عَنِ الْجُرْحِ الَّذِي^(١)

كَانَ مِنْ ظُلْمٍ وَجُورٍ الْغُرْبَاءُ

عَنْ أَئِنِّ الْأَرْضِ فِي مِحْنَتِهَا

بَلْدِ الْطَّهْرِ وَمَهْدِ الْأَنْبِيَاءُ

هِيَ لَيْلَاتُ غَازِلَتِهَا

وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَحْلُو الْفِداءُ

"وَابْتِهَالَاتُ"^(٢) لَقْدُ أَرْسَلْتِهَا

تَطْلُبُ الْقُرْبَانَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ

فِيكَ لِلْقَدْسِ قَصِيدُ زَاخِرٍ^(٣)

وَعَلَى الدَّوْحَةِ مِنْكَ النُّورُ ضَاءُ

(١) اشارة إلى ديوانه فلسطين الجرح والطريق

(٢) اشارة إلى ديوانه ابتهالات

(٣) اشارة إلى ديوانه القدس قصيدي

شاعر القُطريِن يا أنسودةٌ
لهمَا مِنْكَ انتسابُ وانتماءٌ
دُوْحِي عيْني وقُدْسِي أخْتُهَا
لهمَا كُلُّ الْهَوَى كُلُّ الْوَلَاءُ
هكذا قُلْتَ وأسْمَعْتَ الدُّنَا
مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ مِنْ دُونِ رِيَاءٍ

إِيَّاهِ يا ابْنَ الْعَمِ عَجَّلْتَ الْخُطَا
فِي رَحِيلِ مَا لَهُ بَعْدُ لِقاءُ
لَمْ تُكَحِّلْ بِالْحِمَى عَيْنِيَكَ يا
عاشِقَ الْأَرْضِ كَمَا كُنْتَ تَشَاءُ

جئت للدنيا عطاءً ملهمًا
واسترداً اللهُ بالرِّفقِ العطاءُ
فلئنْ متَ فَكُمْ مِنْ أَثْرٍ
لَكَ فِي الدُّنيا لَهُ طُولُ البقاءُ
ضمَّكَ التُّرْبُ الَّذِي يَحْنُو عَلَى
مَنْ وَفَى مِثْلَكَ فِي أَرْضِ الوفاءِ
فاسترخ في الْخُلُدِ أَسْعى غَايَةً
حالَ الذِّكْرِ وَمَوْفُورَ الْمَهَنَاءُ
حيثُ لا ظُلْمٌ ولا حِقْدٌ ولا
كَذِبٌ يَجْرِي بِلُؤْمٍ وَمِرَاءُ
عِنْدَ رَبِّ الْخَلْقِ فَانْعَمْ إِنَّهُ
خَيْرُ جَارٍ تَرْتُوي مِنْهُ الرِّضَاءُ

طارق عبد الكريم محمود
في حفل تأبين أديب رفيق محمود
٢٠٢١/١١/٢٧

نباً حزينٌ في الصباح أتاني

شقَّ الفؤاد وهدَّ لي أركاني

قالوا أديبٌ ماتَ قلتُ بحسنةٍ

بأبي اليماء تكاملتْ أحزاني

راح الذي في الشعرِ كانَ معلمي

وجدانُه قد ذابَ في وجداني

راح الأديب أبو اليماء يا لهفةي

ففقدتُ فيه أحسانَ الإخوانَ

كم كان يا ابن العم موتك مؤلما
صعبا ثقيلا يا عظيم الشان
ماذا أقول وقد خسرتك شاعراً
يا زينة الشعراء والفرسان
كنت الرفيق هنا هناك بندوة
فيها سموت بлагةً ومعاني
وغدوات بعدل يا أديب مكبلاً
أمشي الطريق كضائعٍ توهان
هذي فلسطين الحبيبة وددعث
من كان يعشقُ ترها بتفاني

ها قد خلا الميدانُ مِنْ فُرسانه
فأتيتُ أبكي ساحةَ الميدان
الشعرُ بعْدَكَ مقفِّرٌ بِلْ موحشٌ
والحرفُ ناحٌ بِغَيْبَةِ الْكَرَوان
كنتَ الأديبَ كواحدٍ لِكَنَّما
مِئَةً إِذَا عَدَّوكَ فِي الميزان
أمضَيْتَ عُمرَكَ شاعراً ومربياً
لِلْجَيلِ تلوَ الجيلِ كُنْتَ الْبَانِي
وَصَنَعْتَ مِنْ حُلُوِ القصيَدِ قلائدًا
مِنْ لُؤلُؤِ وزمرِدِ وجُمان

تلَكَ الْقَصَائِدُ أَيْنَعَتْ وَتَنَوَّعَتْ
كَتَنَوَعَ الْأَثَمَارِ فِي الْبَسْطَانِ
وَسَرَّتْ كَمَا يُسْرِي النَّسِيمُ بِلَطْفِهِ
مَسْمُوَّةً الْإِيقَاعَ وَالْأَوْزَانَ
هَذَا شُعاعُكَ مَا يَزَالُ لَهُ سَنَاً
حُلُوٌ يَشُعُ بِأَجْمَلِ الْأَلْوَانِ
سَيِظْلُ ذِكْرُكَ فِي الْأَنَامِ مُخْلَداً
(وَالْذِكْرُ لِلإِنْسَانِ عُمْرُ ثَانِي)
يَا صَاحِبَ الطَّبِيعِ الْجَمِيلِ فَجَعَّتَنِي
وَجَعَّلْتَ دَمْعِيَ فِي الْمَآقِي قَانِي

سَلِّمْ عَلَى مَعْرُوفٍ^(١) الشَّهِيمُ الَّذِي
 أَشْعَارُهُ مَلَاتْ سَمَا أَوْطَانِي
 قَبِيلُهُ عَنِي يَا أَدِيبُ وَقُلْ لَهُ
 مَا زَلْتَ مِلَءَ الْعَيْنِ وَالْأَذْهَانِ
 يَا عَاشَقَ الْقَدْسِ الَّتِي أَحَبَبَهَا
 مِنْ قَهْرِ بَاغٍ مَا تَزَالُ تَعَانِي
 لَكُنْ سَتُّزَهُرُ أَرْضُهَا حُرِّيَّةً
 وَنَزِفُهَا بِقَصَائِدٍ وَأَغَانِي
 نَمْ فِي ضَرِيحِكَ مُطْمِئْنًا رَاضِيًّا
 بِجَوَارٍ رَبِّ غَافِرٍ رَحْمَنْ

(١) معروف رفيق محمود شقيق أديب، شاعر مشهور في قطر، توفي عام

هذِي الْمَلَائِكُ رَحَبْتُ فِي فِرْحَةٍ

أَهْلًاً أَدِيبُ بِجَنَّةِ الرُّضْوَانِ

مِنِّي السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا طَلَعَ الضُّحَى

يَا خَيْرَ الْأَحْبَابِ وَالخِلَانِ

أنا طفلٌ فلسطيني
أمجد عمر نجيب عبد الحليم

أنا طفلٌ فلسطيني
وملءُ القلبِ أحزاني
أنا مجدٌ أنا فخرٌ
إذا قورنتُ أقراني
وألعابي لها شكلٌ
عليها لونُ الحاني
ولي حلمٌولي هدفٌ
أحطمُ خصمي الجاني
وارفعُ رايتي أبداً
ترفرفُ فوقَ أوطاني

أنا طفل أنا جُرح
لتعرف أين عنواني
وميلادي بيوم كان
باستشهاد إخواني
وسجن أبي وضرب أخي
وهدم بيوت جيراني
أزيز رصاصهم مازال
إسفيناً
فلسطين ولدت بها
وفيها كلّ بُلداني
لها روحٌ لكى تسمو
سأهديها كقربان

سirجع آجلأ وطني
أعوّض كل حرمانى
لأحفظ فيه ميلادي
بأمكناة و أزمان
وألعب كل أوقاتي
بلا خوفٍ وأحزان
وأنشد كل ما يحلو
أجاري كل أقراني

المصادر

١. ابراهيم عبد الرحمن سميح ومحمود سعيد الأشقر وزهير غنایم عبد اللطيف - الانتخابات في فلسطين في أواخر العصر العثماني.
٢. البرغوثي آل- عائله لا تعرف الانكسار من الانترنت.
٣. التمام بشار- بلدية نابلس في العهد العثماني ٢٠١٢
٤. التيقي حسني- بنو صعب واستيطانهم في فلسطين
٥. تيمور أحمد- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث القاهرة ١٩٦٧
٦. الحجاوي عبد الفتاح- الكواكب الدرّيه في العقائد الإسلامية.
٧. حسن محمد عبد الغني- الشعر العربي في المهرج.

٨. الحوت بيان نویض الحوت- القيادات
والمؤسسان السياسيه في فلسطين ١٩١٧ -
١٩٤٨.
٩. الخالدي أحمد سامح- اهل العلم بين مصر
وفلسطين ١٩٦٨.
١٠. الدباغ مصطفى مراد- بلادنا فلسطين بيروت
دار الطليعة.
١١. الدبعي زهير- أعلام نابلس في القرن العشرين.
١٢. الدجاني أمين حافظ- المدينتان التوأم رام الله
والبيرة وقضاؤهما.
١٣. الدقس يوسف شحادة- شعراء آل الكيلاني.
١٤. رفيق أديب- الأعمال الكاملة- شعر.
١٥. رفيق معروف- الأعمال المختارة- شعر.
١٦. سجل المحكمة الشرعية طولكرم.
١٧. سجل المحكمة الشرعية قباطية.
١٨. شوقي أحمد- ديوان الشوقيات.
١٩. طوقان فدوی- أخي ابراهيم.
٢٠. عبدالله نافع- الشاعر عبد الرحيم محمود.

٢١. عرفات نصیر- نابلس مدينة الحضارات.
٢٢. عقل محمد + جواد مصاروه- طيبة بنى صعب بين الماضي والحاضر.
٢٣. العودات يعقوب- أعلام الفكر والأدب في فلسطين ١٩٨٧.
٢٤. الفاخوري حنا- الجامع في تاريخ الأدب العربي.
٢٥. الكرمي عبدالكريم- الشيخ سعيد الكرمي سيرته العلمية والسياسية.
٢٦. محمود طارق عبد الكريم- تلك السنين ٢٠١٤.
٢٧. محمود طارق عبد الكريم - عندما تحلق الكلمات/شعر.
٢٨. المقدسي أنيس- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث.
٢٩. مناع عادل- أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني.
٣٠. نجيب، أمجد عمر - أحان الغضب.
٣١. النص إحسان- الأنساب العربية مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠١.

٣٢. نصار بهاء محمد ابراهيم- عنبتا في العصر
المملوكي والعثماني.

٣٣. النمر إحسان- تاريخ جبل نابلس والبقاء جزء
.٤،٣،١

٣٤. نويهض عجاج- رجال من فلسطين كما عرفتهم.
٣٥. مقابلات شخصية:

- جدتي لوالدي
- والدي وأعمامي وبخاصة عمي الشيخ رفيق
- بيت عمتي جميلة في قباطية
- الشيخ الأزهري عبد الله حنون/ عنبتا
- المحامي محمود الشيخ ياسين/ كفر البد
- الشيخ محمد البسطامي/ نابلس

الفهرس

المقدمة.....	٤
نسب الشيخ محمود.....	١٢
عائلة الفقهاء مشتل مشايخ.....	١٥
دراسة الشيخ محمود.....	١٧
الكتاتيب في عنبنا.....	١٩
الشيخ محمود معلماً.....	٢٦
الشيخ محمود واللغة العربية.....	٣٩
الشيخ محمود شاعراً.....	٤٢
الشيخ محمود وحساب الجمل.....	٤٥
شخصية الشيخ محمود.....	٥٠
مع الشيخ سعيد الكرمي.....	٥٣
مع الشيخ عبد الغني اللبني.....	٥٨

نابلس والشيخ محمود ٦١
مع الشيخ عبد الفتاح الحجاوي ٦٩
مع الشيخ عبد الله صوفان القدومي ٧٢
الشيخ محمود إماماً وخطيباً وواعظاً ومأذوناً ٧٦
الشيخ محمود حنبلي التابعية ٨٢
مشايخ عنبتا وجامع البيك ٨٥
حياة أهل عنبتا في العصر التركي ٩٠
الرحلة اللبدية في عيادة مرضى طبرية ٩٣
الشيخ محمود في الإدارة والقضاء ١٠٤
بنو صعب ١١٠
أهل عنبتا جبّروا الفقوسة ١١٣
توسيعة مسجد عنبتا ١١٦
الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني ١١٩
الشيخ محمود وأفقه السياسي والوطني ١٢٣
انتخابات أعضاء المجلس التمهيدي الثاني ١٢٨

١٣٠	المضافة وتاريخها
١٣٧	السفر بترك
١٤٢	دهاء الشيخ محمود
١٤٤	تعليم أبنائه
١٤٧	سنواته الأخيرة
١٥١	أبناء الشيخ محمود
١٥٣	لماذا اندثرت آثار الشيخ محمود
١٥٧	بيت الشيخ محمود
١٦٤	مركز عبد الرحيم محمود الثقافي
١٧٦	أعمال أسندت إلى أبناء العائلة
١٨٢	الشعر في العائلة
١٩١	الأحفاد يواصلون مسيرة جدهم الأدبية
١٩٢	قصيدة الشاعر معروف رفيق محمود
١٩٦	مدينة وشاعر
٢٠٢	إلى روح عمي أبي الطيب

٢١١	من طارق إلى معروف
٢٢٠	من معروف إلى طارق
٢٢٥	رد على الرد
٢٣٤	رذاذ المطر
٢٤٢	أديب رفيق محمود في رثاء شقيقه
٢٤٦	طارق عبد الكريم محمود في رثاء معروف
٢٥٤	طارق عبد الكريم محمود في حفل تأبين أديب
٢٦٠	أنا طفل فلسطيني
٢٦٣	المصادر



الشيخ محمود عبد الحليم

سيرة لن تموت

طارق عبد الكري姆 محمود

- من مواليد ١٩٤٢ من بلدة عنبتا.
- عمه الشاعر عبد الرحيم محمود.
- عمل معلماً لغة العربية على مدى نصف قرن في المدارس الحكومية والخاصة.
- نظم الشعر وشارك في العديد من الندوات والمهرجانات الأدبية، واجريت معه عدة لقاءات إذاعية وتلفزيونية.
- عضو في الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.
- صدرت له الكتب الآتية:
 - (عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى) بالاشتراك مع ابن عمه الشاعر أديب رفيق محمود عام ١٩٩٠
 - (كنت في الحج - من أدب الرحلات) عام ٢٠٠٨
 - (عندما تحلق الكلمات-ديوان شعر) عام ٢٠١٢
 - (تلك السنين-سيرة ذاتية) عام ٢٠١٤
 - (عبد الرحيم محمود شاهد ومشهود) عام ٢٠٢٢
 - (فتاديل من كلمات، ديوان شعر) عام ٢٠٢٥
 - وهذا الكتاب، (الشيخ محمود عبد الحليم سيرة لن تموت) عام ٢٠٢٦

